شرح عقيدة الرازيين

أبي حاتم الرازي ت: ٢٧٧ هـ ❁ أبي زرعة الرازي ت: ٢٦٤ هـ

للشَّيْخِ الدُّكْتُور:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري

مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[المجلس الأول]

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، الحمد لله حتىٰ يرضىٰ، والحمد لله عند الرضىٰ، والحمد لله علىٰ كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفىٰ المختار صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أظلم ليل أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله وأصحابه الأطهار الخيار-.

أما بعد:

فمعاشر الفضلاء أرحب بالجميع في هذا اليوم الرابع، هذا اليوم العلمي من أيام هذه الدورة المقامة في مسجد نبينا صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معاشر الفضلاء إن أعظم ما يعتني به المسلم عمومًا، وطالب العلم خصوصًا: أن يضبط أصول أهل السنة في العقيدة، وأصول أهل السنة في المنهج، فإن أصول أهل السنة في العقيدة والمنهج فارقة ومميزة بين أهل الحق والهدىٰ، وأهل الضلال والهوىٰ، فأصول أهل السنة والجماعة التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة إنما يتمسك بها أهل التقىٰ وأهل الهدىٰ، ويسير عليها أهل السنة والجماعة.

وإن من الرسائل الجامعة النافعة لأصول أهل السنة والجماعة [رسالة عقيدة الرازيين]، فإنها حوت أصول أهل السنة الكبار في العقيدة، كما سيتبين لنا -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

وقد رأيت أن أقسم شرح هذه الرسالة في يومين؛ في هذا اليوم وفي يوم الغد -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-، وذلك أني رأيت أن المادة العلمية في هذه الرسالة قوية،وتحتاج إلى صبر، وتحتاج إلى مراجعة وتأمل، ولا شك أن طول المجلس مع قوة المادة العلمية يثقل على النفس، ويضعف معه الفهم إذا طال المجلس، فرأيت أن أجعل شرح هذه الرسالة في يومين، وسنشرح -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- ما أردنا شرحه اليوم حتى نفرغ منه -إن شاء الله-، ثم نشرح الباقي في يوم الغد -إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

وقد رأيت أن أجعل شرح هذه الرسالة في هذه الدورة شرحًا خالصًا لبيان ما عليه أهل السنة والجماعة دون أن نخلطه بذكر كلام المخالفين.

وعزمت -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- أن أجعل هذه الرسالة ضمن دروس العقيدة في فجر السبت -إن شاء الله-ونشرحها إذاك شرحًا مفصلًا؛ نذكر فيه كلام أهل السنة والجماعة، وكلام الفرق المخالفة، ونفنده، ونرد عليه -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

أما في هذه الدورة فرأيت أن نبدأ بالأصل، وأن نقرر كلام أهل السنة والجماعة في هذه الأصول الكبار، فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا.

(المتن)

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أما بَعْدَ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال: الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم -رحمه الله-: قَالَ.

(الشرح)

عبد الرحمن بن أبي حاتم إمام حافظ من أئمة المسلمين، وهو معروف بكثرة أسئلته لأبيه، حتىٰ بلغت ثلاثة آلاف سؤال، وقد ذكر -رحمه الله- أنه كان يسأل والده حتىٰ وهو يأكل؛ حرصًا منه علىٰ العلم النافع وعلىٰ نفع الأمة، وقد نفع الله بأسئلته نفعًا عظيمًا، وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم: أن يكون حريصًا علىٰ أن يستخرج من العالم الذي يلقاه خيرًا ونفعًا لأمة محمد صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينبغي أن يكون حسن القصد، حسن السؤال، حسن نقل الجواب؛ حتىٰ يكون من المصلحين، وحتىٰ ينفع الله -سبحانه وتعالىٰ- به.

(المتن)

قال -رحمه الله-: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي -رَحِمَهُما اللهُ تَعَالَى-.

(الشرح)

قال: (سَأَلْتُ أَبِي)، وأبوه هو الإمام الحافظ محمد بن إدريس الرازي، المشهور بأبي حاتم الرازي، ولِد سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة، ورحل في طلب العلم صغيرًا، وهو ابن أربعة عشر سنة.

وارتحل كثيرًا، وطوَّف في الأمصار، وله في رحلاته في طلب العلم أخبار عجيبة، وصبر قلّ أن يوجد من إنسان.

وينبغي على طلاب العلم أن يقرأوا سير هؤلاء الأئمة؛ حتى يدركوا أنهم مهما بذلوا فإنه قليل، وحتى يعينهم ذلك -بإذن الله- على الصبر والثبات.

أبو حاتم عُد شيوخه الذين سمع منهم، فبلغوا ثلاثة آلاف شيخًا.

وقد شُهد له بالإمامة، والحفظ والفقه والصلاح والإصلاح، وتوفي سنة سبع وسبعين ومائتين.

وأما (وَأَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي)، هو الإمام الحافظ عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، وهو المشهور بأبي زرعة وُلد سنة أربع وتسعين ومائة -على التحقيق- وارتحل في طلب العلم، وطوَّفي في الأمصار، ولقي كثيرًا من كبار شيوخ أهل السنة، وشُهِد له بالإمامة والحفظ والفقه في الدين، والصلاح والإصلاح، حفظ الحديث وهو شاب، حتى قال الإمام أحمد -رحمه الله عزَّ وجلَّ- عنه: **[يحفظ هذا الشاب تسعمائة ألف حديث]**، هذا وهو شاب، الإمام أحمد يشهد له أنه يحفظ تسعمائة ألف حَدِيْثِ تُوُفِّيَ -رحمه الله- سنة أربع وستين ومائتين من الْهِجْرَةُ، فهما إمامان جليلان طوَّفا في الأمصار، ولقيا كثيرًا من شيوخ أهل السنة الكبار.

(المتن)

قال -رحمه الله-: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ.

(الشرح)

أهل السنة هم الذين يعظِّمون سنة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتجون بها في الدين كله، ولا يفرِّقون بينها في الاحتجاج؛ بل كل ما ثبت منها عندهم حجة في دين الله كله، بخلاف أهل الأهواء الذين لا يعظِّمون سنة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقفون عندها، ولا يحتجون بها، لاسيما في الاعتقاد.

كما أن أهل السنة والجماعة هم الذين يتفقون على العقيدة، والعقيدة من أسمائها: السنة، فلا يستحق اسم أهل السنة إلا من يتفق مع أهل السنة على عقيدة السلف -رضوان الله عليهم-.

كما أن أهل السنة هم الذين يرجعون إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجاوزون ذلك بخلاف أهل الأهواء.

وهذا الاسم -أعني أهل السنة- قديم من زمن الصحابة -رضوان الله عليهم-.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦]، قال: «**تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة**»، رواه الآجري واللالكائي، وابن أبي حاتم في تفسيره.

ومن صفات أهل السنة والجماعة: أنهم أهل اتفاق إلا فيما يسوغ فيه الخلاف.

من سمات أهل السنة والجماعة أنهم أهل اتفاق، إلا فيما يسوغ فيه الخلاف، فقد يقع بينهم الخلاف.

قال ابن القيم -رحمه الله- مبينًا لم يمتاز أهل السنة والجماعة بالاتفاق والائتلاف، قال: **[وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدع أخذوا الدين من عقولهم، وآرائهم، فأورثهم التفرق والاختلاف]**.

يا طلاب العلم إن سبب الاتفاق والائتلاف أن نلزم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأن لا نغتر بفهومنا، ونترك فهم السلف، مهما بلغنا من العلم، ومهما بلغنا من الفضل يجب أن نقيِّد فهمنا

للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، ومن ظن أنه جاوز القنطرة، وصار أهلًا ليفهم بنفسه دون فهم السلف لابد من أن يقع في الانحراف كلًا أو بعضًا.

كما أن من سمات أهل السنة: أنهم مع كونهم أهل اتفاق وائتلاف هم أهل ثبات، لا يتركون الأصول المعلومة أو بعضها لقول أحد كائنًا من كان في الفضل.

نعم يعرفون لذي الفضل فضله، ويقيمون له وزنه، لكن لا يتركون الأصل لخطأ في قوله؛ بل يخطئون قوله، ويكبتون على الأصل، ولا يسقطون أهل الفضل الذين قالوا قولًا بناءً على ما يرونه من الأدلة، لا على أصول فاسدة، لا يسقطونهم عن فضلهم، ولا يطلقون اللسان فيهم؛ بل يحفظون لهم مقامهم، ويقدمون أصول أهل السنة على أهل الفضل إن كان من أهل الفضل من خالف شيئًا منها كلًّا، أو جزءًا، هذه أمور لابد أن تُعلم.

(المتن)

قال: عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ.

(الشرح)

هذا الأمر الأول في هذه الرسالة الشريفة: أصول أهل السنة والجماعة في أصول الدين، أي: في العقيدة.

وأصول الدين لإخراج الفقه الذي اصطلح عليه، فإن الفقه يسمى الفروع، أما العقيدة فتسمى أصول الدين، ولا نكارة في هذا الاسم.

لا نكارة في اسم أصول الدين؛ بل اسم أصول الدين من أسماء العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وإنما النكارة التي حكاها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله عزَّ وجلَّ- في بناء التكفير على التفريق بين أصول الدين وفروع الدين، فيجعلون التكفير باعتداءٍ في أصول الدين، ويمنعون التكفير في فروع الدين، وكلا الأمرين مخالف لما كان عليه السلف، فإن السلف ما كانوا يبنون التكفير على تقسيم الدين إلى أصول وفروع.

فلا ينبغي فهم كلام شيخ الإسلام على غير مراده؛ لأن بعض الناس يأتي إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فيرى أنه قال في مواطن كثيرة هذا من أصول الدين، وأصول الدين تقتضي-

كذا، بينما حكى أن تقسيم الدين إلى: أصول وفروع بدعة، فيقولون: شيخ الإسلام متناقض ولا يضبط كلامه، والحقيقة أنهم هم ما ضبطوا الكلام، فالأمر إنما هو كما ذكرناه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ.

(الشرح)

هذا الأمر الثاني في هذه الرسالة الشريفة، وهو: ذكر ما كان عليه علماء الأمصار، وشيوخ أهل السنة الكبار اللذين أدركهم هذان الإمامان الكبيران.

وهذا يدل على: إجماع أهل السنة والجماعة على هذه العقيدة، وأن هذا هو الذي كان شائعًا في الأمصار قبل دخول علم الكلام، وقبل شيوع شأن علماء أهل الكلام.

وهذا مهم جدًّا؛ لأن المبتدعة اليوم يقولون: إن ما تقولون إنه كلام أهل السنة والجماعة القائلون به قليل، وإنما الشائع -مثلًا- الأشعرية أو نحو ذلك.

نقول: إن هناك أمرين عظيمين من إدراكهما في هذا الأمر:

الأمر الأول: أن الذي كان شائعًا في أمصار المسلمين في صدر الإسلام في خير أهل الإسلام هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

نعم وجدت فِرق من آخر زمن الصحابة كالخوارج والقدرية، لكن لم يكن لهم شأن، وكان الشائع المنتشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

إذًا الأصل هو: انتشار عقيدة أهل السنة والجماعة.

والأمر الثاني: أن عقيدة أهل السنة والجماعة انتشرت بالعلم والبرهان. عقيدة أهل السنة والجماعة كانت شائعة، ولا زالت تشيع بالعلم والبرهان.

أما عقيدة الأشاعرة وأمثالهم فإنما شاعت بقوة السلطان؛ حيث تبناها سلاطين في الأرض، فانتشرت، وفرضت على الناس فرضًا، كما يدرك هذا من يدرس تاريخ الفِرق.

وسر اتفاق أهل السنة والجماعة في العقيدة: وحدة المصدر والمرجع:

فالمصدر: كتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمرجع: صحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا وجدت وحدة المصـدر ووحدة المرجع لابد من أن يقع الاتفاق على كما لا يسـوغ الخلاف فيه، وهذا ما كان بين أهل السنة والجماعة.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ.

(الشرح)

هذا الأمر الثالث في هذه الرسالة الشريفة، وهو: ما يعتقده هذان الإمامان الكبيران.

فهذه أمور ثلاثة عظيمة، شريفة وجدت في هذه الرسالة حيث سأل عنها عبد الرحمن بن أبي حاتم -جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء-.

(المتن)

قال -رحمه الله-: فَقَالَا: " أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ.

(الشرح)

ذكر أنهما أدركا علماء الأمصار، وليسوا أي علماء؛ بل العلماء الكبار المشهورون في تاريخ العلم في الأمصار.

قالا: (فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ):

المذهب هنا المراد به: ما يذهب إليه هؤلاء الأئمة في الاعتقاد.

لكن الحظ شيئًا: السؤال ورد فيه عن مذاهب؛ بالجمع، عن مذاهب، والجواب كان فيه: (فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ) بالإفراد، وهنا يمكن أن يكون الجمع باعتبار تعدد الأشخاص، لا باعتبار تعدد المعتقد، باعتبار تعدد الأشخاص، فينسب المذهب إلى كل أحد بحسبه، وإن كانت العقيدة واحدة فالجمع بهذا الاعتبار.

ويمكن أن يكون الجمع باعتبار السؤال كانه قال: **هل لهم مذاهب في أصول الدين؟**

فكان الجواب: إنما لهم مذهب واحد يذهبون إليه.

ويمكن أن يكون الجمع باعتبار أن المذهب هو الأصل، أن المذهب معناه الأصل، فيكون سأل عن أصول أهل السنة والجماعة في أصول الدين.

(المتن)

قال -رحمه الله-: فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

(الشرح)

هذان أصلان عظيمان من أصول أهل السنة والجماعة:

أولهما: أن الإيمان الذي من أتى به يكون من أهل الدين، ومن لم يأت به لا يكون من المسلمين، هذا المراد بالإيمان هنا؛ أن من أتى به يكون من أهل الدين، ومن لم يأت به لا يكون من المسلمين، أن هذا الإيمان قول وعمل، وقد أجمع على ذلك السلف، وأهل السنة والجماعة، وتعددت ألفاظهم في التعبير عنه، **ومؤداها واحد:**

أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

ولابد من هذه الثلاثة، ولا ينفع واحد منها إلا بالاثنين، فلابد من اجتماعها؛ حتى يكون الإيمان صادقًا.

فقول اللسان، والعمل الظاهر بلا اعتقاد نفاق، كان المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون مع الصحابة خلف رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنهم لا يعتقدون، فهذا نفاق.

وزعم الاعتقاد والعمل بلا قول مع القدرة كفر وعناد.

الذي يقول: أنا أقول إنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأعتقد هذا، أي **الذي يقول**: أنا أعمل بأخلاق الإسلام، وأعمال الإسلام، وأعتقد الإسلام، لكن ما أقول.

بعض الذين يعيشون مع المسلمين اليوم يقولون هذا، يقول: أنا أعتقد وأعمل حتى أصوم معكم، لكن ما أقول؛ هذا كفر وعناد.

وزعم القول والاعتقاد بلا عمل مصدِّق كذب ودعوى بلا برهان.

والمعلوم: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، كما قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، متفق عليه، رواه البخاري ومسلم.

فلا يدخل الجنة إلا من حقق الإيمان، فأتى بالقول، واعتقد، وأتى بالعمل المصدق، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وأصل أهل السنة والجماعة.

وقوله (قَوْلٌ وَعَمَلٌ):

القول هنا يشمل: قول القلب.

وقول القلب هو: المعرفة والتصديق والإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله -تعالى-، هذا يسمى عند العلماء قول القلب.

ويشمل -أيضًا-: قول اللسان.

وقول اللسان هو: الإتيان بالشهادتين مع القدرة.

قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[المائدة:٤١]. إذًا لابد من الإيمان بالقول والإيمان بالقلب.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشره»، متفق عليه.

إذًا هذا قول القلب.

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ...﴾[البقرة:١٣٦] الآية. فهذا أمر بالقول.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، متفق عليه.

إذًا القول يشمل: قول القلب، وقول اللسان.

والعمل يشمل: عمل القلب من الخوف والرجاء والمحبة والخشية، وانقياد القلب، ونحو ذلك.

ويشمل: عمل الجوارح، كالصلاة والزكاة، ونحو ذلك.

ويشمل: عمل اللسان، وهو: كل قول صالح غير الشهادتين، أي: غير الشهادتين التي يظهر بهما الإيمان ويدخل بهما في الإسلام، مثل: ذكر الله -سبحانه وتعالى-، هذا يسمى عند العلماء: عمل اللسان.

قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:١٤].

وقال -تعالى-: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[المجادلة:٢٢]، هذا عمل القلب.

وقال -سبحانه-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون:٢] الآيات.

فهذه أعمال الجوارح وهي من الإيمان.

وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءِ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»، رواه مسلم.

فالإيمان شُعب:

منها: شعب قوليه، «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

ومنها: شُعب عملية «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ».

ومنها: شعب قلبية «وَالْحَيَاءِ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ».

فإذا قيل: الإيمان قول وعمل فسّر بما ذكرناه.

وإذا قيل: الإيمان قول وعمل واعتقاد، أو قول وعمل ونية، أو قول وتصديق وعمل، فإنه هنا يكون القول قول اللسان، أي: الإتيان بالشهادتين. والعمل عمل الجوارح.

والاعتقاد والتصديق أو الإقرار أو النية ما في القلب من معرفة وتصديق وانقياد وعمل.

وهذا كله أمر مستقر عند أهل السنة.

قال الإمام مالك وأبو بكر بن عيَّاش، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد: [الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ وَالْإِقْرَارُ وَالْعَمَلُ]، رواه عبد الله بن أحمد.

وقال عبيد بن عمير الليثي: [لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ يُفْعَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ]، رواه الإمام أحمد في السنة.

انتبهوا! الفعل أوسع من العمل؛ الفعل يشمل القول والعمل؛ ولذلك قال: **[قَولٌ يفْعل]**، أي: قول يُظهر، **[وعمل يعمل]**.

وقال الشافعي -رحمه الله-: [الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادُ الْقَلْبِ]، ألا ترى قول الله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

قال -رحمه الله-: [فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا، وَهِيَ: قَوْلٌ، وَعَمَلٌ، وَعَقْدٌ]، الصلاة فيها: قول، وفيها: عمل، وفيها: اعتقاد، ويأتي الإنسان فيها بالشهادتين.

وارتباط هذه الثلاثة ببعضها في حقيقة الإيمان ظاهر جلي، **فإنا نقول: ما تعريف الإيمان؟**

فيقول موافقنا: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

وهذا لا يخالف فيه أحد من أهل السنة أبدًا، لا قيمًا ولا حديثًا، ما نعرف أحدًا من أهل السنة إلا وهو يقول: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

وإن اختلفت الألفاظ إلا أن المؤدى واحد.

فنقول: هذا الذي لم يعمل بجوارحه قط مع العلم والقدرة، هل هو مؤمن؟

فإن قال: نعم، هو مؤمن؛ قلنا: نقضت تعريفك؛ لأنه وُجد الإيمان بلا عمل مطلقًا، وهذا ينقض التعريف.

تعرفون أنتم طلاب العلم أن صورة تخرج عن التعريف تنقض التعريف.

فإن قال: لا، ليس بمؤمن؛ لأن الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ قلنا: حصل المقصود ووجب عليك أن ترجع عن قولك، هذا من جهة النظر.

وما نعتقده نحن ونقرره، ونكرره من إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة مطلقًا دليل على أنه لا يوجد الإيمان بلا عمل.

نحن نقول: إن ألفاظ بعض الصحابة في تكفير تارك الصلاة مطلقًا صريحة، ولا تقابلها ألفاظ صريحة تخالفها، وهذا يدل على إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة مطلقًا، فإن لم توافقنا على الإجماع، ولم تسلّم لنا بالأدلة فأقل ما يكون: أن تُسلّم أن هناك من أهل السنة والجماعة من كان يقول: إنه لا يوجد إيمان بلا عمل. **أقول هذا لماذا؟**

لأني رأيت بعض طلاب العلم اليوم يقولون: إن مسألة العمل في الإيمان من جهة كفر تارك العمل بالكلية إنما حدثت في القرن الأخير، ما كانت معروفة عند السلف، وهذا غلط، غلط عظيم؛ لا شك أنها كانت معروفة عند السلف، أقل ما يقال: إنها معروفة؛ لأنه لا أحد ينازع في كون بعض الصحابة كان يكفر تارك الصلاة.

ثم إن ألفاظ السلف ظاهرة جليّة في هذا، من ذلك قول علي -رضي الله عنه وأرضاه-: «لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا نِيَّةَ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ»، رواه ابن بطة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ**»، أي: لا ينفع في الإيمان قول إلا بعمل، «**وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ**».

النية هنا يراد بها أمران:

الاعتقاد، والإخلاص.

«**وَلَا نِيَّةَ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ**»؛ لأنه لا يقبل الله العمل إلا إذا كان فيه الإخلاص والاتباع، والإيمان لابد فيه من العمل؛ إذًا لابد من موافقة السنة، العمل الذي يُصدَّق به الإيمان لابد من أن يكون فيه إخلاص وموافقة للسنة؛ لأنه إذا خلا من هذا كان مردودًا على صاحبه، فلا يكون مصدقًا لإيمانه.

وبنحو هذا القول بنصه قال ابن مسعود، كما في الإبانة، وبنحوه -أيضًا- بنصه؛ بل بنصه قال الحسن البصري، كما عند اللالكائي في شرح عقيدة أهل السنة.

وقال الأوزاعي -رحمه الله-: [أَدْرَكتُ مَنْ أَدْرَكتُ من صَدْر هَذه الْأُمَّة لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَان وَالْعَمَل]، أي: العمل عندهم من الإيمان، **[وَلَا يَعُدُّونَ الذُّنُوبَ كُفْرًا وَلَا شركًا]**، أي: ما يكفرون بالمعاصي.

انتبهوا! ترك العمل غير الذنوب والمعاصي؛ ترك العمل يتعلق بالدين، والذنوب والمعاصي متعلقة بالمخالفة؛ ولذلك قال: قال الأوزاعي فيما حكاه عن من أدركه من صدر هذه الأمة: **[لَا يفرقُونَ بَيْنَ الْإِيمَان وَالْعَمَل، وَلَا يعدُّونَ الذُّنُوبَ كُفْرًا وَلَا شركًا]** ثم قال: **[والْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ كَهَاتَيْن، وَقَالَ بِأُصْبُعَيْه: لَا إِيمَانَ إِلا بعمل، وَلَا عَمَلَ إِلا بِإِيمَان]**، رواه حرب الكرماني في مسائل الإمام أحمد.

وقال الأوزاعي -أيضًا-: [كَانَ من مَضَى من سَلَفنَا لَا يفرقُونَ بَيْنَ الْإِيمَان وَالْعَمَل؛ الْعَمَلُ من الْإِيمَان

وَالْإِيمَانُ من الْعَمَلِ؛ وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَا يَجْمَعُ هذه الْأَدْيَانَ اسْمُهَا وَيُصَدِّقُهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ آمَنَ بلسانه وعَرَفَ بِقَلْبِه وصَدَّقَ بعمله فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بلسانه ولَمْ يعرِفْ بِقَلْبِه وَلَمْ يُصَدِّقْ بعمله لَمْ يُقْبَلْ منه وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ من الْخَاسِرِينَ]، رواه ابن بطة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل هذا الكلام: [وهَذَا مَعْرُوفٌ عَنْ غَيْرِ واحد من السَّلَفِ والْخَلَفِ]،أي: السلف ومن بعدهم، [أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَمَلَ مُصَدِّقًا لِلْقَوْلِ]، قال هذا في مجموع الفتاوى، [هَذَا مَعْرُوفٌ عَنْ غَيْرِ واحد من السَّلَفِ والْخَلَفِ؛ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَمَلَ مُصَدِّقًا لِلْقَوْلِ].

وقال سفيان بن عيينة: [الْإِيمَانُ قَوْلٌ وعَمَلٌ، أَخَذْنَاهُ مِمَّنْ قَبْلَنَا، وأَنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إلا بِعَمَلٍ]، رواه الآجري وابن بطة.

وقال الإمام أحمد: [الْإِيمَانُ لَا يَكُونُ إلا بِعَمَلٍ]، رواه أبو يعلى في الإيمان.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، كما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة على ما هو مقرر في موضعه، فالقول تصديق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد من العمل بالكلية لم يكن مؤمنا]، هذا نص شيخ الإسلام ابن تيمية، [فإذا خلا العبد من العمل بالكلية لم يكن مؤمنا... إلى قوله وأيضا فإن حقيقة الدين: الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئا، فما دان لله دينا، ومن لا دين له فهو كافر].

وقال الحافظ بن عبد البر في التمهيد: [أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية].

وقال -أيضًا- بعد أن ذكر ما ينسب إلى أبي حنيفة -رحمه الله عزَّ وجلَّ- قال: [وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر ومنهم مالك والليث بن سعد -وذكر أئمة كثيرين-، فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، مع الإخلاص بالنية الصادقة ، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم]، إلى قوله [ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل، كما قالت الجماعة: قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، **ولم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فجعل الصلاة إيمانًا].**

وقال أيضًا -أعني الحافظ بن عبد البر في التمهيد-: [قال سفيان بن عيينة: نحن نقول: الإيمان

قول وعمل، والمرجئة تقول: الإيمان قول].

المرجئة ينطلقون من أصولهم الفاسدة، ما يبنون على الأدلة، عندهم أصول فاسدة، فمن الظلم أن يسوى من ينطلق من النص مع صحة أصوله ولكنه أخطأ في المسألة مع من ينطلق من الأصول الفاسدة، هذا ظلم وعدوان.

أهل العدل والإحسان أهل السنة يعرفون لصاحب الفضل فضله ومنزلته وجهده، ويرجون له الأجر وإن أخطأ، ويحفظون له مقامه، ولا يسوون بين أهل البدعة الذين يبنون أمورهم على البدعة، وأقوالهم على الأصول الفاسدة وبين من يعظِّم النصوص، ويعظِّم أصول أهل السنة، ويبني قوله على النصوص.

قال الحافظ بن عبد البر في التمهيد: [وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ نَحْنُ نَقُولُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالْمُرْجِئَةُ تَقُولُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَجَعَلُوا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا بِمَنْزِلَةِ رُكُوبِ الْمَحَارِمِ].

انتبهوا: [وَجَعَلُوا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا]، أي: من ترك الفرائض كلها، مع العلم والقدرة، جعلوا ذلك ذنبًا، وأنه مؤمن، وجعلوه بمنزلة ركوب المحارم، أي: فعل المحرمات.

[وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّ تَرْكَ الْفَرَائِضِ مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ وَلَا عُذْرٍ كُفْرٌ]، أي: ترك الفرائض كلها من عذر ولا جهل كفر.

[وَرُكُوبُ المحارم عمدًا من غير اسْتِحْلَالُ مَعْصِيَةٌ]، الكلام واضح وبيِّن.

وأقام على ذلك دليلًا، ذكر: أن إبليس لما أمره الله أن يسجد لآدم فكان هذا أمرً وفرضًا، فلم يسجد؛ جعل الله ذلك كفرًا، ولعنه.

أما آدم -عليه السلام- عندما نهاه الله عن الأكل من الشجرة فوسوس له إبليس فأكل منها؛ سمى ذلك معصية، والفرق واضح، وهذا أمر من فقه السلف -رضوان الله عليهم-.

وقال الآجري: **[ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معها الإيمان باللسان نطقًا، لا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمنا].**

وأنا فقط ذكرت شيئًا من عبارات السلف.

إذًا عبارات السلف تدل على أمرين:

الأمر الأول: أن العمل من الإيمان.

وهذا ما يخالف فيه أحد من أهل السنة أبدًا.

والأمر الثاني: أن من لم يأت بالعمل المصدق من غير جهل ولا عذر لم يأت بالإيمان.

وقولنا من غير جهل: هذا يخرج إذا كان الإنسان في زمن جهل، كما في آخر الزمان ما يعرف إلا التوحيد، ما يعرف الأعمال، هذا زمن عذر، وهذا الذي وردت فيه بعض النصوص، وهم الذين يدخلون الجنة من غير عمل.

كذلك: مع عدم القدرة، كافر أسلم الآن ومات، أسلم ودخل في الإسلام، وقال واعتقد، لكن مات، ما أتى بأي عمل، مات؛ هذا لا يكون كافرًا؛ بل يكون مؤمنًا.

وهذا الأصل أصل جليل شريف؛ ينبغي على طلاب العلم أن يضبطوه.

والأصل الثاني: أن الإيمان يزيد وينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة والإحسان، وينقص بالإساءة والعصيان، وهذا مترتب على ما تقدم على الأصل الأول من أن العمل من الإيمان؛ عمل القلب وعمل الجوارح من الإيمان.

وهذا الأصل معروف عند أهل السنة من زمن الصحابة، من زمن الصحابة وأهل السنة يقولون: الإيمان يزيد وينقص.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**»، رواه الآجري وعبدالله بن أحمد.

وقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ**»، أي: من الصحابة، «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»، رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به، ورواه أبو عبيد والخلال موصولًا.

أين وجه الدلالة؟

الصحابة مؤمنون، يقول أحدهم للآخر: تعال نؤمن، «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»، أي: نزداد إيمانًا، والذي يزيد ينقص.

وكان ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: «**تَعَالَ نُؤْمِنْ سَاعَةً**»، رواه ابن المبارك.

قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة:١٢٤].

وقال -تعالى-: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[آل عمران:١٧٣].

وقال -تعالى-: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح:٤].

والمعلوم: أن ما يزيد ينقص، لا يمكن أن يقبل الزيادة إلا ما يقبل النقص.

قال ابن عبد البر: **[على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية]**.

جماعة أهل الآثار والفقه، أهل الفتوى بالأمصار انتبهوا! **[وقد روى ابن القاسم عن مالك: أن الإيمان يزيد، ووقف في نقصانه]**.

هذه رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، ما نفى النقصان، لكن وقف في القول بالنقصان على هذه الرواية، فهو وقف في القول لا في الحقيقة؛ لأن من اعتقد الزيادة اعتقد النقصان.

قال ابن عبد البر: **[وقد روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ووقف في نقصانه. وروى عنه عبد الرزاق ، ومعمر بن عيسى ، وابن نافع ، وابن وهب]**، أربع أئمة إثبات، **[أنه يزيد وينقص]**، رووا هذا عن مالك أنه يزيد وينقص، **[يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث، ثم روى بإسناده إلى سلمة بن شبيب قال : سمعت عبد الرزاق يقول : سمعت سفيان الثوري ومعمر وابن جريج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص]**، هذه رواية عبدالرزاق عن مالك وعن غيره من الأئمة.

قال شبيب: **[قلنا لعبدالرزاق فما تقول أنت؟ قال: أقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فإن لم أقل هذا فقد ضللت وما أنا من المهتدين]**.

ونقل أيضًا ابن عبد البر بإسناده أن سفيان بن عيينة قال: **[الإيمان يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: لا تقل ينقص، قال: فغضب، وقال: اسكت يا صبي؛ بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء]**.

وما أجمل قول الشيخ الأثري المحدِّث العلامة حمَّاد الأنصاري -رحمه الله-، هذا العالم بحر في العلم، بحر زاخر، ويحزنني أن طلاب العلم لا يهتمون بآثاره وبعلمه، وهم في المدينة، وقد كان في المدينة -رحمه الله-، رجل رزقه الله هيبة، أحيانًا ألقاه وفي نفسي سؤال، فما أستطيع من هيبته -رحمه الله رحمة واسعة، ومع ذلك كان صاحب دعابة، أذكر كان يأتينا في مخيم الجامعة عندما كنا في المعهد الثانوي،

وكانت الجامعة في وقت الشتاء تقيم مخيمًا في طرف الجامعة، في داخل سور الجامعة، ونبقى فيه أيامًا، ويأتينا المشايخ، وكنا نحب أن يأتي الشيخ حمَّاد؛ لأن الشيخ حماد -رحمه الله- كان يتدفق بالعلم، وكان ذا ظرفه، حتى لأذكر -وهذا أنا سمعته منه- كان هناك لقاء معه، ووضعوا الأكل مغطى على السفر، فلما رأى ذلك قال: إذا حضر الهرس بطل الدرس، وأوقف الدرس -رحمه الله رحمة واسعة-.

من لطائفه قال: **[خلاصة مذهب السلف: أن الإيمان يتألف من خمس نونات:**

الأول: قول باللسان -نون-.

والثاني: اعتقاد بالجنان.

والثالث: عمل بالأركان.

والرابع: يزيد بطاعة الرحمن.

والخامس: ينتقص بطاعة الشيطان]، هذه خمس نونات.

والعمل الذي يزداد به الإيمان -كما أشرنا- هو: عمل القلوب وعمل الجوارح، ليس فقط عمل الجوارح؛ بل حتى عمل القلوب.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله، وخشية الله ورجائه، ونحو هذا كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلًا عظيما].

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ.

(الشرح)

هذا الأصل العظيم أجمع عليه أهل السنة، وهو أن القرآن كلام الله، وكلام الله أوسع منه، كلام الله ليس محصورًا في القرآن، لكن القرآن من كلام الله، (وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ)، بجميع جهاته أي: مكتوبًا، أو مقروءً، أو مسموعًا، أو محفوظًا في الصدور.

قال الطبري -رحمه الله-: [الصَّوَابُ من الْقَوْلِ في ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُ: كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوق كَيْفَ كُتِبَ وَحَيْثُ تُلِي وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ قُرِئَ، فِي السَّمَاءِ وُجِدَ، وَفِي الْأَرْضِ حَيْثُ حُفِظَ، فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَانَ مَكْتُوبا، وَفِي أَلْوَاحِ صِبْيَانِ الْكَتَاتِيبِ مَرْسُومًا، فِي حَجَرٍ نُقِشَ]، كما كان يُكتب على العظم، **[أَوْ فِي وَرَقٍ خُطَّ، أَوْ فِي**

الْقَلْبِ حُفِظَ، وبلسان لُفِظَ]، كله كلام الله غير مخلوق.

وما أجمل قول الإمام أحمد -رحمه الله-: [يَتوجَّهُ الْعَبْدُ للهِ بالْقُرْآن بخَمْسة أَوْجُه، وَهُوَ]، أي: القرآن، [فيها غَيْرُ مَخْلُوق: حفْظٌ بقَلْب، وتلَاوَةٌ بلسان، وسَمْعٌ بأُذُن، ونظْرَةٌ ببصر، وخطٌّ بيد].

الإنسان يتقرب إلى الله في القرآن بهذه الأوجه الخمسة.

قال -رحمه الله-: [فَالْقَلْبُ مَخْلُوقٌ وَالْمَحْفُوظُ غَيْرُ مَخْلُوق]، القلب الذي حُفظ فيه القرآن مخلوق، والمحفوظ الذي هو القرآن غير مخلوق.

قال: **[والتِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ وَالْمَتْلُوُّ غَيْرُ مَخْلُوق، وَالسَّمْعُ مَخْلُوقٌ وَالْمَسْمُوعُ غَيْرُ مَخْلُوق، وَالنَّظَرُ مَخْلُوقٌ وَالْمَنْظُور إِلَيْه غَيْرُ مَخْلُوق، وَالْكِتَابَةُ مَخْلُوقَةٌ وَالْمَكْتُوبُ غَيْرُ مَخْلُوق]**.

ما أجمل هذا! ما أجمل هذا البيان! وهكذا هو كلام أئمة أهل السنة والجماعة.

القرآن كلام الله بلفظه ومعناه، بحروفه ومعانيه، سمعه جبريل من الله، تكلم الله به، فسمعه جبريل -عليه السلام- من الله، وأسمعه لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسمعه للصحابة، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة:٦]، أي: حتى يسمع القرآن، والمعلوم أن الذي سيسمعه رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يخرجه ذلك عن كونه قرآنًا؛ بل هو كلام الله -سبحانه وتعالى-.

والقرآن كلام الله، فهو المتكلم به، فهو من الله بدأ كما يقول السلف، **قال الله -عزَّ وجلَّ-**: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الجاثية:٢].

وقال -سبحانه-: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[غافر:٢].

وقال -سبحانه-: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢].

ثم أضيف إلى جبريل -عليه السلام؛ لأن جبريل سمعه من الله، فبلغه رسول الله، فأضيف إليه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[التكوير:١٩] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[التكوير:٢٠]، وهذا هو جبريل -عليه السلام-.

والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعه من جبريل فبلغه للأمة، فأضيف إليه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة:٤٠] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[الحاقة:٤١].

القرآن كلام الله، بدأ من الله، نزل به جبريل من الله، من ربنا -سبحانه وتعالى-، وإنما أضيف إلى جبريل؛ لأن جبريل هو الذي أسمعه لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأضيف إلى رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو الذي أسمعه للصحابة، وبلغه الأمة.

هذا معنى قول السلف: **[منه بدأ]**، أي: من الله، ونزل به جبريل من الله -سبحانه وتعالى-، وإليه يعود حينما يرتفع في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا تبقى منه آية، كما أخبر بذلك ابن مسعود وغيره، وهذا لا يقال إلا عن توقيف، كما أنه يعود إلى الله وصفًا؛ لأنه صفته، فلا يوصف به غيره، هذا معنى وإليه يعود بالمعنيين، إليه يعود حيث يُرفع في آخر الزمان، فلا تبقى منه آية، وإليه يعود وصفًا، فلا يوصف به على جهة الوصفية غيره؛ لأنه كلامه -سبحانه وتعالى-.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: **[لقيت الرجال والعلماء والفقهاء بمكّة والمدينة والكوفة والبصرة والشّام والثّغور وخراسان فرأيتهم على السنّة والجماعة، وسألت عنها الفقهاء، فكل يقول]**، أي: سألت الفقهاء عن السنة، **[فكل يقول]**، أي: من السنة، **[القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود]**.

والله -عزَّ وجلَّ- يتكلم متى شاء بما شاء، فتكلم بالقرآن وأسمعه جبريل -عليه السلام-، وكلَّم موسى -عليه السلام-، **قال الله -عزَّ وجلَّ-**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]، فأكده بالمصدر، والعجيب أن أحد المتأولة جاء إلى أحد القراء الكبار، وقال: أردت منك أن تقرأ بنصب لفظ الجلالة، أي: أن تقرأ «**وكلَّم اللهَ مُوسَىٰ**»، حتى يكون المتكلم موسى، فقال له: إن أطعتك فأين تذهب من قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣]، فبُهِت.

قال: إن أطعتك ومررنا هذه، كيف تفعل بالآية الثانية الصريحة؟ فبُهِت.

وقال -تعالى-: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩].

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان:٢٧].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ اللهِ»، رواه أحمد والترمذي وأبو داوود وابن ماجه والنسائي في الكبرى، وصححه الألباني.

والشاهد: أن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ اللهِ»، فمع كونه يبلغه سماه كلام الله، فهو كلام الله بجميع جهاته.

والأحاديث التي فيها: أعوذ بكلمات الله، كقوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ»، رواه مسلم، تدل على أن كلام الله غير مخلوق؛ إذ لو كانت مخلوقة لما استعيذ بها؛ إذ لا استعاذة لا بمخلوق ولا بكلام مخلوق، فهي تدل دلالة بيِّنة على أن كلام الله غير مخلوق.

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾[طه:١١] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[طه:١٢] ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[طه:١٣] ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[طه:١٤]، **هل يستطيعون هنا أن يقولوا: إن المكلِّم الشجرة أو المكلِّم الصخرة أو المكلِّم مخلوق؟**

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾، لا يمكن أن يقال هنا إن المكلم غير الله -سبحانه وتعالى-، وإلا لرجعت الياء هنا ﴿إِنِّي﴾، ﴿إِنَّنِي﴾ ، ﴿فَاعْبُدْنِي﴾، إلى المخلوق -أعوذ بالله-، وما أجمل ما قاله بعض السلف.

السلف يأتون باستدلالات لطيفة، قالوا: لو كان موسى -عليه السلام- ما سمع الكلام من الله، وإنما سمعه من الصخرة أو سمعه من الشجرة، كما يقول المتأولة؛ لكان بنو إسرائيل أشرف من موسى في هذا المقام، **كيف؟**

قالوا: يكون موسى -عليه السلام- سمع هذا الكلام من صخرة أو شجرة، وبنو إسرائيل سمعوه من نبي، والنبي أشرف من الشجرة والصخرة.

إذًا على هذا التقرير الذي يقولونه يكون بنو إسرائيل في هذا المقام أشرف من موسى -عليه السلام-، ولا يمكن أن يكون هذا.

والنص من أئمة السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن كافر أكثر مما يحصى، فهو يزيد على الألف، مرة حاولت أن أحصي ذلك من سير أعلام النبلاء بدون هذه المكتبة الشاملة اليوم، فوصلت إلى ما يقرب من سبعمائة، هذا الكتاب أحبه كثيرًا، قرأته في شبابي ثلاث

مرات، لا يُمل منه، والله عندما كنت أقرأه يؤذن الفجر وأنا ما أدري، وأنا أحث طلاب العلم على قراءته، والله مدرسة، مدرسة في كل شيء، ولاسيما في أدب السلف، وطالب العلم إن لم يُلجم نفسه بأدب السلف يتيه.

الشاهد: أن النصوص عن السلف في هذا كثيرة جدًّا، وقد نقل اللالكائي هذا اللفظ عن خمسمائة وخمسين من أئمة السلف من غير إحصاء، وإنما نقل نقلًا عن خمسمائة وخمسين من أئمة السلف.

قال إسماعيل بن أويس أو ابن أبي أويس: **[سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة العلماء بالمدينة، ذكروا القرآن فقالوا: كلام الله وهو منه ، وليس من الله شيء مخلوق]**.

نقلت هذا النقل؛ لأبين لكم لماذا يحرص السلف على قولهم منه بدأ، فاليقين أنه منه بدأ، وليس منه -سبحانه- شيء مخلوق.

(المتن)

وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ -عزّ وجلّ-.

(الشرح)

أهل السنة والجماعة مجمعون على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله -سبحانه وتعالى-.

والإيمان بالقدر يقوم على ستة أصول، من ضبطها ضبط الإيمان بالقدر، وارتاحت نفسه، واطمئن قلبه:

الأصل الأول: الإيمان بعلم الله المحيط، فكل قدر الله بعلم، كل قدر الله بعلم.

الأصل الثاني: الإيمان بعدل الله المطلق، فالله لا يظلم شيئًا، فكل قدر الله عدل.

ويتعلق بهذا الأصل الثالث: كل نعمة من الله فضل، وكل نقمة عدل، هذا الذي يجري به القدر إما نعمة، وإما نقمة.

كل نعمة من الله فضل، والله ما نستحقها، والله لولا فضل الله ما نستحقها، كل نعمة من الله فضل، حتى الجنة لن يدخل أحد الجنة بعمله، وإنما بفضل الله ورحمته.

وكل نقمة عدل، والله ما يصيبنا أو يصيب غيرنا من النقم، وما يضر، وما يؤذي، وما يؤلم، إنما هو عدل.

الأصل الرابع: الإيمان بحكمة الله التامة، فإن الله لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، فقدر الله كله فيه الحكمة، قدر الله مفرح أو مؤلم فيه الحكمة، فعن حكمة تامة كان.

الأصل الخامس: الإيمان بأن ما وقع لم يكن ليقع إلا على الوجه الذي وقع، ما في مجال بعد الوقوع أن تقول لو؛ لأنه مهما كان ومهما اتخذت لم يكن ليقع إلا على الوجه الذي وقع، وأن ما لم يقع فما كان ليقع.

قال أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيلِ اللهِ، ما قَبِلَه اللهُ منك حتىٰ تُؤْمِنَ بالقَدَرَ، وتَعْلَمَ: أن ما أصابَك لم يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وأن ما أخطأَكَ لم يَكُنْ لِيُصِيبَك».

وقال ابن مسعود وحذيفة -رضي الله عنهما- مثله، وحدث زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمثله عن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي: قاله أبي، وقاله حذيفة، وقاله ابن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-، أما زيد فرفعه إلى النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحدث بمثله، رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني.

والأصل السادس: الإيمان بمراتب القدر الأربع:

الأولى: العلم، مرتبة العلم، وهو الإيمان بعلم الله المحيط، فالله -عزّ وجلّ- علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال الله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النساء:١٧٦].

وسئل النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن أولاد المشركين، فقال** صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ»، متفق عليه.

وانظروا هنا! أولاد المشركين لم يعملوا؛ لكن قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ»، هذا الذي نقوله، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون -سبحانه وتعالى-، فكل قدر الله عن علم.

والمرتبة الثانية: الكتابة، وهي الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق قبل أن يخلقهم بما سبق به علمه -سبحانه وتعالى-، قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج:٧٠].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولُ ما خلق اللهُ القلمُ فقال له: اكتبْ فقال: يا ربِّ وما أكتبُ؟ قال: اكتب القدرَ ما هو كائنٌ من ذلك إلىٰ قيامِ الساعةِ»، رواه الترمذي، وصححه الألباني.

والمرتبة الثالثة: المشيئة، وهي الإيمان بأن كل ما هو واقع إنما هو واقع بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-، وإرادته الكونية القدرية، أو مشيئته الكونية القدرية التي لا يخرج عنها شيء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

والمرتبة الرابعة: الخلق ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، و﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]. إذا ضبط المسلم هذه الأصول الستة، فإنه يمسك عمّا وراء ذلك، فإن القدر سرُّ الله، والعبد أعجز من أن يدرك التفاصيل، يضبط هذه الأصول.

[المجلس الثاني]

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، **أما بَعْدُ؛**

فأقول إن المؤمن إذا ضبط هذه الأصول الستة في باب القدر، فإنه يمسك عما وراء ذلك، فإن القدر سر الله، والعبد أعجز من أن يدرك التفاصيل؛ لكن إذا ضبط هذه الأصول الستة كفته، وقد قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ذُكر القَدَرَ فَأَمْسِكُوا»، رواه عبدالرزاق في الآمالي، والحارث في مسنده، والطبراني في الكبير، واللالكائي، وصححه الألباني.

وينبغي علىٰ المؤمن قبل وقوع القدر أن يستعين بالله -عزَّ وجلَّ- علىٰ دفع المضار، وما يؤلم، وذلك بالدعاء، وسؤال الله الخير، والاستعاذة بالله من الشر، ما يعجز المؤمن ويقول القدر قد مضىٰ؛ بل يجتهد في الدعاء، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الدُّعاءَ يَنفَعُ ممَّا نزَل وممَّا لم يَنْزِلْ، فعَلَيكم عِبادَ اللهِ بالدُّعا».

«الدُّعاءَ يَنفَعُ ممَّا نزَل وممَّا لم يَنْزِلْ»، يدفع مما نزل بكشفه، ويدفع مما لم ينزل بدفعه «فعَلَيكم عِبادَ اللهِ بالدُّعا»، رواه الحاكم، وحسّنهُ الألباني.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ»، رواه أحمد والطبراني والحاكم، وصححه الحاكم، وقال الأرناؤوط حسن لغيره.

وينبغي على المؤمن بعد وقوع القدر أن يشكر الله على السراء، وأن يعلم أنها من فضل الله -سبحانه وتعالى-، وأن يصبر على الضراء، ويعلم أن فيها عدل الله -سبحانه وتعالى-، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له»، رواه مسلم.

(المتن)

قال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان -رحمة الله عليهما-: وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رضوان

الله عليهم-، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ.

وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ مَا شَهِدَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ.

(الشرح)

صحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين شرفهم الله، فلقوا النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنين به، وماتوا على ذلك، اصطفاهم -عزَّ وجلَّ- لصحبة نبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومناصرة نبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورضي الله عنهم، وأثنى عليهم، قال -تعالى-: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾[الفتح:٢٩]. فأثنى الله عليهم بهذا الثناء العظيم.

وقال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:١٠].

فأثنى الله -عزَّ وجلَّ- على المهاجرين والأنصار، وأثنى على المؤمنين الذين يعرفون للصحابة فضلهم، ويعرفون لهم علو منزلتهم، ويستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يكون في قلوبهم غلٌّ عليهم.

وقال -سبحانه-: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨].

وقال -تعالى-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيرُ الناسُ قرْني»، متفق عليه. فصحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم خير الناس بعد الأنبياء -عليهم السلام-.

وقال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَسُبُّوا أحدًا مِنْ أصْحابِي»، متفق عليه.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على فضل الصحابة أجمعين، ولو لقي الواحد منهم النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساعة واحدة مؤمنًا به، ومات على ذلك، هو خير ممن بعده.

ثم أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة -رضوان الله عليهم- أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أجمع أهل السنة على أن هؤلاء الأربعة هم أفضل صحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أجمع أهل السنة على أن ترتيبهم في الخلافة واقعًا واستحقاقًا كما وقع، فأولهم أبو بكر، وثانيهم عمر، وثالثهم عثمان، ورابعهم علي، لا ظلم في هذا أبدًا؛ بل هو الحق والاستحاق.

كما أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الأربعة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول من آمن برسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال، وصاحبه في هجرته صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وناب عنه في حياته صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان خليفته بإجماع المسلمين من بعده صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض موته: «مُروا أبا بكرٍ فلْيُصَلِّ بالناس»، متفق عليه.

فأنابه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقامه، في حياته صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مرض.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرأة التي أتت إليه فأمرها أن ترجع إليه، فسألته، وقالت له: «أَرَأَيْتَ إنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ قالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي المَوْتَ، قالَ: فإنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»، متفق عليه.

كما أجمع أهل السنة على أن ثاني الأربعة فضلًا هو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنا أنا نائِمٌ رَأَيْتُنِي علَىٰ قَلِيبٍ عليها دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْها ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ أخَذَها ابنُ أبِي قُحافَةَ فَنَزَعَ بها ذَنُوبًا أوْ ذَنُوبَيْنِ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، واللهُ يَغْفِرُ له ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحالَتْ غَرْبًا، فأخَذَها ابنُ الخَطَّابِ فَلَمْ أرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حتَّىٰ ضَرَبَ النَّاسُ بعَطَنٍ»، متفق عليه.

وفي هذا إشارة إلى الخلافة، ودلالة على الفضيلة، فأبو بكر بعد رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقتَدوا باللَّذَينِ مِن بعدي، وأشارَ إلىٰ أبي بَكرٍ وعمرَ»، رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

وفي هذا إشارة إلى الخلافة والفضل، فإنه قوله: «مِن بعدي»، إشارة إلى الخلافة، وقوله: «اقتَدوا»، إشارة إلى الفضل.

وجاء عن محمد بن الحنفية، قال: «قُلتُ لأبِي: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ؟ قَالَ: أبو بَكْرٍ، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وخَشِيتُ أنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ»، أي: ما سألته ثم من؟، قال: «قُلتُ: ثُمَّ أنْتَ؟ قَالَ: ما أنَا إلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ»، رواه البخاري.

وقال علي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «مَنْ فَضَلَنِي عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ جَلدتُهُ جَلدَ المفتري»، رواه البخاري في الصحيح.

ثم بعد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أكثر أهل السنة والجماعة من الصحابة فمن بعدهم، ثالث الأربعة فضلًا: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان بعض أهل السنة قد توقف في التفضيل بين علي وعثمان، هما أفضل من غيرهما بعد أبي بكر وعمر -رضوان الله عليهم-؛ لكن توقف بعض أهل السنة في الأفضل منهما، وذهبت طائفة من أهل السنة إلى تقديم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عثمان في الفضل وليس في الخلافة، تقديم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، ثم استقر رأي أهل السنة والجماعة على ترتيبهم في الفضل ترتيب الخلافة: فأفضلهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: «كُنَّا نُخَيِّرُ بيْنَ النَّاسِ في زَمَنِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ؛ فَنُخَيِّرُ أبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنْهمْ»، رواه البخاري في الصحيح.

هذا قبل وفاة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا يرون أن خير أبو بكر بعد الرسول صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم عمر، ثم عثمان.

قال الحافظ ابن عبدالبر -رحمه الله-: **[وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل**

على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي].

أي: هذا الذي ذكرناه أن الأمر استقر عند أهل السنة أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقدم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، فالرابع في الفضل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون، الذين جعل النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنتهم متبعة، فقال: «**فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ**»، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

والمعلوم أن الخلافة أربعون عامًا، وهي مدة هؤلاء الأربعة.

والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع عشرة في البشارة بالجنة، فسموا بالعشرة المبشرين بالجنة، وقول النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق؛ ولذلك نشهد لهم بأعيانهم بالجنة بشهادة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبو بكرٍ في الجنَّةِ، وعمرُ في الجنَّةِ، وعليٌّ في الجنَّةِ، وعثمانُ في الجنَّةِ، وطَلحةُ في الجنَّةِ، والزُّبَيرُ بنُ العوَّامِ في الجنَّةِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنَّةِ، وسَعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرو بنِ نُفَيلٍ في الجنَّةِ، وأبو عُبَيدةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنَّةِ**»، رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

كما أن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد لمن بايعوا تحت الشجرة بالجنة جملة، فقال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَدْخُلُ النارَ أحدٌ ممَن بايعَ تحتَ الشجرةِ**»، رواه مسلم في الصحيح.

وهذه شهادة بالجنة.

كما أنه يفهم من حديث رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل بدر في الجنة، فقد قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَلَّ اللهَ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَىٰ أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، متفق عليه.

«**اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، وإذا كان الله قد غفر لهم، فهم في الجنة.

فهؤلاء يشهد لهم بالجنة بشهادة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما شهد لبعض الصحابة إفرادًا بالجنة كما في عكاشة وأمثاله.

(المتن)

وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.

(الشرح)

أهل السنة والجماعة مجمعون على الترحم لجميع أصحاب رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستغفار لهم؛ بل والترضي عنهم جميعًا، لا يخرجون واحدًا منهم عن ذلك، ولا يذكرون أحدهم بما يعيبه، لا يذكرون واحدًا من الصحابة على سبيل التنقص أبدًا، ويكفون عما شجر بيهم، إلا أن يكون على سبيل الحكاية، على سبيل الحكاية يذكرون ما حصل؛ لكنهم لا يحكمون فيما بينهم بما يشعر بالتنقص، نعم قد يعرفون أن الحق مع فلان، أو مع الطائفة الفلانية؛ لكنهم لا يحكمون بما يشعر بالتنقص.

ويعلمون أن الصحابة –رضوان الله عليهم– فيما شجر بينهم إما مجتهدون، منهم مصيب، ومنهم مخطئ بلا شك، والمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر واحد.

ولو فرضنا –وهم غير معصومين– أنه قد وقع من بعضهم ذنب فيما شجر، فإنهم أولى الناس بمكفرات الذنوب، ولهم من السابقة والفضل اللاحق على الأئمة ما يجعلهم أولى وأسبق إلى مكفرات الذنوب.

هذا موقف أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وقد نصَّ أئمة أهل السنة والجماعة على أنه لا يذكر أحد صحابيًا بسوء إلا وهو مبتدع، فشأن من على السنة الترضي عن الصحابة، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، وإحسان الظن بهم، والكف عما شجر بينهم،

والاعتقاد أن المخطئ منهم:

إما مجتهد مأجور على اجتهاده، وهذا الغالب.

وإما مذنب مغفور له ذنبه.

هذه طريقة أهل السنة والجماعة في معاملة صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

هذا الموطن الذي أردت أن أقف عنده اليوم، فنقف عنده، وغدًا -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- هو خامس الأيام العلمية، خامس أيام هذه الدورة التي اقترحتها وأردت القيام بها لما رأيت أن أكثر المشايخ الفضلاء قد أوقفوا دروسهم، وأن طلاب العلم في إجازة، فأردت اغتنام هذا الفراغ فيما يزيدنا علمًا، وقربًا من ربنا -سبحانه وتعالى-.

غدًا خامس هذه الأيام وآخرها -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- ونكمل فيه شرح عقيدة الرازيين حتى نتمها -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

(الأسئلة)

السؤال: ما حكم الصلاة في المسجد، أي: صلاة الجماعة؟

الجواب: الصلاة في الجماعة فريضة على الرجال غير المعذورين، فلا يحل لرجل بالغ، مكلف، غير معذور أن يصلي الفرض في غير جماعة.

ثم هل يسقط الفرض أي جماعة، كأن يصلي بأولاده في البيت، أو يصلي في مكان، كأن يجتمع أهل السوق مع قرب المسجد ويصلون في السوق من غير حاجة، أو لابد من المسجد؟

الراجح من أقوال أهل العلم أنه لابد من المسجد، نعم أكثر الفقهاء يقولون تكفي الجماعة في أي مكان؛ لكن الراجح أنه لابد من المسجد؛ لأن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصَّلاةِ فَتُقَامَ، وَآمُرَ بِحَطَبٍ فآتي أَقْوَامًا لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ مَعنا، فَأُحَرِّقَ عليهم بِيُوتَهُم».

ولم يقل النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا الذين يصلون جماعة في البيوت، وإنما عمَّ الجميع، ولم يستثني أحدًا.

فدل على أن من يصلي في بيته ولا يصلي في المسجد، سواء صلى في جماعة أو صلى منفردًا، ما أتى بالواجب عليه.

وابن مسعود بيَّن أن سنة الهدى أن تصلى الصلوات حيث ينادى بهن، وإنما ينادى بهن في المسجد، ومن ترك سنن الهدى فقد ضل.

فالواجب على الرجل غير المعذور أن يسعى إلى صلاة الجماعة في المسجد.

السؤال: ما حكم إلصاق القدم بقدم المصلي الذي بجانبه؟

الجواب: كان السلف من الصحابة ومن بعدهم يلصق أحدهم رجله برجل صاحبه؛ حرصًا على تسوية الصفوف؛ **لكن هذا له قيدان:**

أما القيد الأول: فهو ألا يؤذي جاره، فإن أذية المسلم محرمة، ومن آذى المسلمين في طرقهم استحق لعنتهم، فكيف بمن يؤذي المسلمين في المسجد أو يؤذي المسلم في صلاته؟!

فإذا رأيت أن أخاك الذي بجوارك يتأذى من وضع رجلك بجوار رجله، فلا تطارده برجلك، كلما سحب رجله مددت رجلك، فإن سحبه لرجله يدل على أنه يتأذى، ولا يجوز أن تؤذي أخاك المسلم.

وهذا لا يعدو كونه مستحبًا، ولا يتجاوز كونه مستحبًا أعني إلصاق القدم بالقدم.

والأمر الثاني: أن لا تخرج رجليك عن مستوى بدنك؛ لأن التسوية في الأصل هي بالمناكب، فلو فرجت رجليك كما يفعل بعض الإخوة يصبح مثلث، ستبتعد عن الذي عن يمينك والذي عن شمالك من جهة المنكب، وهذا غير مشروع؛ لأنك لو مددت رجلك اليمنى حتى خرجت عن مستوى بدنك، سيكون الذي بجوارك قد ابتعد عن منكبك، وكذلك عن يسارك.

فلابد من فقه هذا، جميل أن نحرص تسوية الصفوف، ورص الصفوف على الراجح فرض، وسد الفرج على الراجح واجب، لكن لابد من مراعاة القيدين.

طيب أن تلصق قدمك بقدم أخيك، وقلت مرارًا أن التسوية بالأقدام ليست بأوائل الأقدام، وإنما بآخر القدم؛ لأن آخر القدم هو الذي يقوم عليه البدن، أما الأصابع المقدمة فبعض الناس أرجلهم أطول من بعض، فلو سويينا بالأصابع سيتقدم بعضنا ويتأخر بعضنا.

فحرص الإمام على تسوية الصف هذا فعل النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة -رضوان الله عليهم-، وتسوية الصفوف، ورص الصفوف، وسد الفرج الراجح من أقوال أهل العلم أنه واجب، فينبغي على المؤمنين أن لا يتساهلوا في هذا.

السؤال: هل يجوز حال الإحرام لبس حزام مخيط، وكذلك النعل؟

الجواب: هل يجوز حال الإحرام لبس حزام مخيط؟

الجواب: نعم، يجوز ولا حراج، وما منع منه النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هل يجوز لبس النعل الذي فيه خيط؟

نعم، يجوز ولا حرج، وما منع منه النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل لو أن الإنسان خاط رقعة في إحرامه، لو فرضنا أن إنسان عنده إحرام وانقطع، فخاط القطع بالخيط، يجوز أن يحرم به ولا حرج.

لو فرضنا أن إنسانًا بدين، وما يكفيه إحرام، فجاء بإحرام وخاطه في إحرام آخر، بحيث يكون طرفاه مفتوحين؛ لكن خاط إحرامًا في إحرام حتى يلبسه، لا حرج.

في البرد هل يجوز للإنسان أن يلبس إحرامًا فوق الإحرام؟

نعم، يلبس إحرامًا، وإحرامين، وثلاثة، وأربعة إن أطاق؛ بل له أن يضع بطانية عليه وهو محرم، بردان وعنده بطانية، يضعها على كتفيه ما في حرج؛ بل لو أن معه عباءة مثل هذه صوف، وأحس بالبرد، له أن يجعلها عليه بدون لباس.

دين الله واسع، وأمر الله واسع، وإنما يضيق الناس على أنفسهم.

السؤال: من صَعُبَ عليه الوضوء في الطائرة، ماذا يفعل من أجل الصلاة؟

الجواب: الواجب أن يتوضأ؛ لكن إذا لم يمكن، إما لأن الطائرة ما فيها ماء، وإما لأن المكان ما يسعه ليتوضأ، أو لغير ذلك، ما يستطيع أن يتوضأ، فإنه يتيمم إن وجد ما يتيمم به، إن وجد ترابًا يتيمم، فإن لم يجد فإنه يصلي على حاله، وتصح صلاته، وإذا نزل لا يطالب بالإعادة، **ولكن متى؟** إذا كان في الطائرة، وكان لا يمكن أن يصلي في الأرض.

بمعنى: أنه طار قبل الوقت وينزل بعد الوقت، وقلنا أن الوقت هنا ثلاثة وليس خمسة، الظهر والعصر وقتهما واحد، المغرب والعشاء وقتهما واحد، فإذا كان سيطير بعد دخول وقت الظهر، ولن ينزل إلا بعد المغرب، فالواجب أن يصلي قبل أن يطير.

إذا كان سيطير قبل الظهر ولكن سينزل في وقت العصر، فالواجب أن يصبر حتى ينزل ويصلي في الأرض.

لكن لو طار قبل الظهر -وهذا مثال- طار قبل الظهر وسنزل بعد خروج وقت العصر، ما يجوز أن يؤخر الصلاة، الواجب أن يصليها.

فإن أمكن أن يتوضأ ويصليها قائمًا تامة، كأن كان هناك مكان في الطائرة فإن هذا واجب، وإن لم

يمكن فلم يمكن له أن يتوضأ، ولا أن يتيمم، تسقط عنه الطهارة ويصلي، وتصح صلاته.

إذا كان ما يوجد مكان إلا الكرسي يصلي عليه، فإنه يصلي على حاله حيث توجهت به الطائرة، ولا يطالب بشيء في هذا الباب.

السؤال: هل يجوز الدخول في تجارة مع شخص يأكل مال أيتام؟

الجواب: هذا سؤال عجيب، شخص يأكل أموال اليتامى تأمنه على مالك؟! الذي يأكل مال اليتامى سيأكل مالك ويأكلك -أيضًا-، ما أدرى أين عقله الذي يعلم أن إنسانًا يأكل أموال اليتامى ويريد أن يشاركه، الشركة تحتاج الثقة، وتحتاج الأمان، ومثل هذا لا ثقة ولا مأمون، ولا شك أنه فاسق مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

لكن من حيث الجواز والحرمة:

إن كان يعلم أن ماله من أموال اليتامى أو فيه من أموال اليتامى فلا يجوز أن يشاركه.

أما إذا كان يعلم أن المال الذي سيشاركه به ليس من أموال اليتامى مطلقًا، فإنه من حيث الجواز يجوز؛ لكن الشأن كما ذكرنا.

السؤال: ما حكم تقصير اللحية وحلقها إذا أصابه خوف أو ضرر بسببها؟

الجواب: اللحية زيَّنَ الله بها الرجال، وأكرم الله بها الرجال، وهي من الفواصل بين الرجال والنساء، وأعفاها بلا شك رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان كثّ اللحية حتى أن الصحابة يعرفون أنه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في السرية بحركة لحيته، يرونها من ورائه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعفاها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان كثّ اللحية، وأعفاها عمر، وأعفاها جميع الصحابة، وأعفاها الأئمة الأربعة ولا نعلم فاضلًا من أمة محمد صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال إلا وكان يعفيها.

لا نتكلم عن هذا الزمان، حتى لا يأتي أحد يقول أقول إن الذين يحلقون ليسوا فضلاء؛ لكن أقول: إن جميع الفضلاء الذين سطوا في تاريخ الأمة كلهم كانوا يعفون اللحى، والله، والله، لو لم نذكر إلا هذا لكان هذا حاثًا المؤمن على أن يعفي لحيته، فكيف والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَعْفُوا اللِّحَىٰ»، أمر.

تخيل! أن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمامك، ويقولك لك: اعفوا لحيتك، تذهب تحلقها؟! الآن الأمر هكذا؛ لأن أمر النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقٍ ما بقي المسلمون، النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبك أنت، ويقول لك: اعفي اللحية، أكرموا اللحى، وفروا اللحى، أرجو اللحى، ويأتي بعض الرجال ويلحقها، والعجيب أن حلقها مشقة، كل يوم يحلق، كل يوم الصبح يلحق، والله مشقة، الصبغ وهو سنة والله إنه يتعب، نضطر أحيانًا نتركه، وأحيانًا نفعله من أجل السنة، كيف هذا الحلق كل يوم، ويشتري ماكينة، ويشتري معجون، والإعفاء -ما شاء الله تبارك الله- أمر يسير.

قول النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْفُوا اللِّحَىٰ**»، «**وَفِّرُوا اللِّحَىٰ**»، يقتضي أن تترك اللحية كما هي، وليس صحيحًا أن السنة أن يؤخذ ما زاد عن القبضة؛ بل الواجب تركها؛ لكن أخذ ما زاد عن القبضة لا يقال إنه فسق؛ لأنه ثبت عن بعض الصحابة -رضوان الله عليهم-.

لكن لو سألتني ما الواجب؟

أقول يجب أن تعفيها، اتركها كما خلقها الله، إلا أن تطول طولًا ترى أنت أنه يشوه الخلقة، هنا عند المالكية وهو الذي أميل إليه أنه يجوز أخذ شيء منها، ولو تركها لكان حسنًا وخيرًا.

أما تقصيرها عما دون القبضة، وإن قال به من قال من أهل العلم لا شك أنه حرام ولا يجوز، ولا يعرف له دليل.

وقول بعضهم: إن إعفاء اللحية مطلق، والمطلق يصدق بالفرد، نقول صحيح؛ لكن الأصوليين يقولون يصدق بالفرد الكامل؛ لأن بعضهم استدل على تقصير اللحية، يقول: إذا تركت بعض الشعر حصل الفرد، نقول الأصوليون يقولون: إن المطلق يصدق بالفرد الكامل وليس المنقوص.

بقي السؤال: هل يجوز أن أقصر اللحية أو أحلق اللحية إذا كنت أخاف الأذى؟

الخوف نوعان:

خوف موهوم، بعض الناس تجده في المدينة معفي لحيته، ثم إذا أراد أن يسافر يحلق اللحية، لماذا يا فلان؟ قال والله أخاف إذا أتيت المطار يعقدوني، ويفعلون، ويفعلون، هذا وهم، ثم إن الطاعة تحتاج إلى صبر.

والنوع الثاني: خوف حقيقي، قد قام سببه، وانعقد سببه، وعُلِم، والإنسان يعلم من نفسه أنه لا

يستطيع الصبر أو يتأذى أذى كثيرًا، هنا نعم، يجوز للإنسان أن يفعل ما يدفع عنه الأذى، ولا يزيد، هذا إذا كان الخوف حقيقيًا وقد انعقد سببه.

السؤال: ما حكم الإقامة في بلاد الكفر، وأخذ الجنسية؟

الجواب: أما أخذ الجنسية فلا أفتي بها، ما أفتي فيها أبدًا، والحكم فيها ظاهر.

وأما البقاء في بلاد الكفار:

فإن كان الإنسان لا يستطيع أن يقيم دينه، ويستطيع أن يهاجر، ووجد بلدًا يهاجر إليه، ففرض عليه أن يهاجر، وحرام عليه أن يبقى، وهذا لا شك فيه.

ومن عدم القدرة على إقامة الدين أنه لا يستطيع أن يحفظ أولاده؛ بل إذا تركهم في تلك البلدان قد يرتدون، أو على الأقل يتمردون على أعمال الشرع، فهذا لا يستطيع أن يقيم دينه؛ لأن حفظ أولاده من دينه.

أما إذا كان يستطيع أن يقيم دينه، وكان قادرًا على الهجرة، ووجد بلدًا يهاجر إليه، فالراجح أنه يستحب له أن يهاجر، بعض أهل العلم يقول يجب؛ لكن الراجح أنه يستحب له أن يهاجر.

أما إذا كان قادرًا على إقامة دينه، ويستطيع أن يهاجر، ووجد بلدًا يهاجر إليه؛ لكن في بقاءه هناك مصلحة دينية للمسلمين، كأن كان معلمًا لهم، أو إمامًا لهم، وخُشِي إن تركهم أن يضيع المسجد، أو يضيع دينهم، فهنا يستحب أن يبقى معهم ما دامت المصلحة موجودة.

أما إذا كان لا يستطيع الهجرة، مثلًا مريض بمرض له دواء معين لا يوجد إلا في ذلك البلد، أو بمبلغ عالي جدًّا ما يمكن توفيره، أي: أعرف أنا بعض الأمراض الدواء يساوي مليون ريال الإبرة الواحدة، وقد لا توجد -أيضًا- في بعض بلدان المسلمين، المريض مرضًا خطيرًا ولا يوجد دواء في البلد الذي سيهاجر إليه لهذا المرض، أو مكلف كلفة ما يستطيعها هو، هذا معذور، هذا معذور ما يستطيع أن يهاجر.

أو لم يجد بلدًا يهاجر إليه، هو يريد الهجرة؛ لكن ما وجد بلدًا يستطيع أن يهاجر إليه ولو بالإقامة، ولو، ولو، هذا معذور.

هذا تفصيل حكم الهجرة والإقامة في بلاد الكفار.

السؤال: ما حكم من يقول لأخيه إذا ذهب إلى المدينة النبوية هنيئًا لك جوار النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: هذا ليس معروفًا عن السلف، وإنما يقال له: هنيئًا لك زيارة مسجد النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما لا قام سببه في زمن السلف ولم يعرف عنهم، فينبغي تركه.

السؤال: كيف الثبات في طلب العلم، مع أننا في زمن كَثُرة فيه الفتن؟

الجواب: الثبات مقصد شريف، وغاية عظمى، وأعظم وسيلة للثبات الدعاء، ادعوا الله دائمًا لا تغتر بنفسك، سل الله الثبات دائمًا الثبات على الدين، «اللهم يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ والأبصار ثَبِّت قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»، هذا جاء عن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الثبات على الخير، الثبات على السنة، الثبات على التوحيد أثناء طلب العلم دائمًا اسأل الله الثبات، لا تغفل عن هذا، لا تغفل عن هذا أبدًا، فإن الأمر كله بيد الله -سبحانه وتعالى-.

ومما يعين على الثبات: أن يعلم الإنسان فضل طلب العلم، ولا سيما عند قلة السالكين، فإن معرفة الفضل والثواب مما يعين المسلم على الثبات.

ومما يعين على الثبات: أن يتخذ المسلم إخوة صالحين، يذكرونه إذا نسي، وينبهونه إذا غفل، وينشطونه إذا كسل، ويقونه همته إذا فتر، وهذا من أهم الأمور التي يحصل بها الثبات -إن شاء الله عزَّ وجلّ-.

وأيضًا كثرة قراءة القرآن: والله ما رأيت مجلبة للخير، ومثبتة للخير أكثر من قراءة القرآن، قراءة القرآن شيء عجيب، شيء عجيب يعطي الإنسان -بإذن الله- قوة في نفسه، والله الذي يقرأ القرآن مع توحيد يشعر بقوة ما يهمه ما يدور حوله، الذي يقرأ القرآن يجد من البركة الشيء العجيب، بركة تحصل للإنسان بحيث ينجز في اليوم ما لا ينجزه غيره في أسبوع، قوة في الإيمان تحصل للإنسان؛ ولذا الذي يريد الخير مطلقًا، ويريد الثبات على الخير، عليه بكثرة قراءة القرآن، وكلما قلت قراءة الناس للقراءن كانت كثرة قراءة القرآن أفضل؛ ولذلك بعض مشايخنا كان إذا ذهب إلى مكان يظن أن الناس لا يقرأون فيه القرآن يكثر من قراءة القرآن.

أحدهم يقول لي ابنه إذا سافرنا يزيد ورده، إذا كان في كل يوم يقرأ ثلاث أجزاء أو أربع أجزائ وربع

يضاعف، يقول: فقلت له يا أبي الناس تسافر ترتاح، وأنت سافرنا زدت في قراءة القرآن، قال: يا بني نحن في ديار ما يقرأون القرآن، وهذا أكثر للأجر وأعظم للأجر.

فقراءة القرآن شأنها عظيم، عودوا أنفسكم عليها، وعلموها لأبنائكم وبناتكم، وأهليكم، والله إنها طريق الفلاح، وطريق البركة، وطريق القوة، وطريق زيادة الإيمان، وفضل الله عظيم.

السؤال: إذا أدركت الإمام في الركوع، وكبرت تكبيرة الإحرام قبل أن يرفع الإمام من الركوع؛ ولكن لم أستطع التسبيح بسبب رفع الإمام بسرعة، هل تحسب لي هذه الركعة؟

الجواب: أولًا: ينبغي أن تنتبه أن تكبر تكبيرة الإحرام وأنت قائم، بعض الناس من العجلة ينحني ويكبر، هذا ما تنعقد صلاته، لابد من أن يعقد تكبيرة الإحرام وهو قائم، ثم تسقط عنه تكبيرة الانتقال، يركع، فإذا ركع فعلًا كما ذكرنا البارحة انحنى بحيث لو مد يديه لأصابت كفاه ركبتيه، قبل أن يرفع الإمام، فقد أدرك، فيقول: سبحان ربي العظيم بعد أن يرفع الإمام، ما يضر، ثم يرفع ويتابع الإمام.

السؤال: عند خالي ميراث لأمي، هل يجوز لي أن أطالبه، علمًا بأن أمي محرجة منه؟

الجواب: الحق لأمك، وليس لك حق في هذا المال، فإذا وكلتك أمك فلك أن تطالب، حتى لو ما كانت الوكالة معلنة، فيما بينك وبينها، قالت لك: يا بني أنا والله أخي، ما أستطيع؛ لكن طالبه أنت، فلك أن تطالبه.

أما إذا لم توكلك، فليس لك الحق في المطالبة، **لكن ما الحق؟**

النصيحة، أن تذهب إلى خالك وتنصحه، وتقول: يا خالي والله إني أحبك، وإني أخاف عليك من النار، والموت قريب، وما ندري متى نموت، وغصب الحق عظيم عند الله، وأختك تحبك وتقدرك، وما تريد أن تطلب منك، فأدي إليها حقها تسلم، وتعطيها حقها وكذا، تنصحه بالأسلوب المناسب، أما المطالبة فليس لك الحق أن تطالب إلا بتوكيل من صاحبة الحق.

السؤال: ما نصيحتكم لمن ترك الصلاة كسلًا؟ وكيف ينصح الابن أباه أو إخوانه الذين لا يصلون تكاسلًا؟

الجواب: الصلاة شأنها عظيم بإجماع أهل العلم، وقد أجمع العلماء على أن ترك الصلاة كسلًا كبيرة من الكبائر، وأقبح من فعل الزنا، وأقبح من شرب الخمر، وهذا محل إجماع، وإنما اختلفوا هل تارك الصلاة كسلًا يكفر أو يكفر.

أما كونه مرتكبًا كبيرة قبيحة هي أقبح من الزنا وأقبح من شرب الخمر، فهذا محل اتفاق بين أهل العلم.

زد على ذلك أن الراجح من أقوال أهل العلم أن تارك الصلاة كسلًا يكفر، وحتى لو لم تقل بالكفر تارك الصلاة كسلًا فإنك لن تستطيع إنكار الأحاديث المغلظة على تارك الصلاة كسلًا، فماذا تريد بنفسك إذا كنت ما تصلي، إذا كنت تركت الصلة بينك وبين ربك، إذا كنت تركت أهم أعمال المسلم، الله إنما خلقك لتعبده ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، فإذا كنت ما تصلي أين العبادة؟! تعيش حياة بهيمية ما تحقق المقصود من إيجادك، الله ينعم عليك وأنت تحارب الله -سبحانه وتعالى- بترك الصلاة، الله يناديك بنداء المؤمن وأنت تأبى أن تقبل! كيف تعيش؟! كيف تستشعر لذة في الدنيا؟!

واعلم ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[الانشقاق:٦]، ستلاقي ربك وتلاقي عملك، ماذا تقول لله؟!

ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ألا تستحي من الله؟! الآن أنت تعلم أن الله يراك والمسلمون يصلون، وأنت تعلب، وتعلم أنك يوم القيامة ستلقى الله ماذا تقول لله؟!

والموت قريب، والله قبل يومين ابن أحد أصدقائنا في إحدى الدول الإسلامية ممن هم على عقيدة سلفية، دخل غرفته بعد أن تناول طعام العشاء، دخلوا عليه في نصف الليل وجدوا جسمه باردًا، مات، ما كان فيه شيء شاب قوي أنا أعرفه، مات، الموت قريب، ما ندري متى نموت، ترضى أن تموت وأنت ما تصلي؟!

وأما النصيحة ففرض عين، إذا كان لك أب لا يصلي، لك أم لا تصلي، لك إخوة لا يصلون، فرض عين عليك أن تنصحهم.

وللنصيحة أساليب:

منها -مثلًا- إذا كنت تركبهم في السيارة تضع مقطعًا للكلام عن ترك الصلاة، وللمشايخ مقاطع جميلة، الشيخ عبدالرزاق البدر له مقاطع جميلة جدًّا، أنا أنصح طلاب العلم بالعناية بها، وإيصالها للناس، والمشايخ الآخرون -أيضًا- فيهم خير، تضع المقطع وأنت في السيارة، وأنت في البيت.

إذا كنت تعلم أن أباك أو أمك أو أحد إخوانك تاركون للصلاة، ففرض عين عليك أن تنصحهم، ووسائل النصيحة متنوعة؛ لكن إياك أن تفرط، إياك أن تتأخر فإن الموت قريب يمكن أن يموت هو أو تموت أنت، وموت الفجأة قد كثر في الناس، أحد طلابنا في كلية الشريعة كان من الطلاب المتفوقين قبل الاختبارات النهائية في السنة الرابعة مات -رحمه الله-.

أحد الطلاب الذين كنت سأناقشه، قدم رسالته، وأثناء فترة الانتظار للمناقشة مات -رحمه الله-.

وذكرت لكم قصة الشاب قبل يومين ابن أحد إخواننا الأعزاء في إحدى الدول مات فجأة -رحمه الله رحمة واسعة وجبر كسر أبيه-.

يجب أن نخاف على أنفسنا، وعلى أهلنا، وعلى إخواننا، وإياك أن تيأس من أحد، إياك، الدعوة باقية، والنصيحة باقية ما بقيت الروح، والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء لعمه أبي طالب، وهو في فراش الموت يدعوه؛ لعله ينجو، ولما مرض ذاك اليهودي -كما سمعنا- الغلام اليهودي، زاره وعاده ودعاه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم اعلم -رعاك الله- أن للهداية سببًا وزمنًا، فإذا وافق السبب والزمن، وأراد الله، هُدي الإنسان، وأنت ما تدري متى، ربما تقول كلمة ما تلقي لها بالًا تكون موافقة للزمن، فيهدي الله هذا، فلا تيأس، ولا تكل، ولا تمل، وانصح، وادعو، وسل الله أن يهديهم، ولا تفرط وتندم بعد أن لا ينفع الندم.

السؤال: بعض الشباب يقولون للزمن قبل الاستقامة زمن جاهلية، فهل هذا جائز؟

الجواب: إذا كان يقصدون بالجاهلية الجهل، وإنه كان زمن جهل، فنعم، ولكن التعبير غير صحيح، وإنما يقولون زمن الجهل.

ثم ما الداعي لذكره، ينبغي أن يدفنوه، أن لا يتذكروه هم، وأن لا يذكروه لغيرهم، التوبة لابد فيها

من ندم، وإذا كان الإنسان فعل شيئًا وستره الله، أو مات الذين يعرفونه، أو بعيد عن الذين يعرفونه، لماذا يُعلم الناس؟! يقول والله أنا في زمن الجاهلية كنت، احمد الله على العافية، ولا تخبر أحدًا؛ لكن إذا كانوا يقصدون بزمن الجاهلية زمن الجهل، وهم كانوا في جهل، وكل من عطى الله فهو جاهل كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالمعنى صحيح؛ لكن اللفظ غير مستقيم؛ لأن الجاهلية يقصد بها زمن الكفر.

السؤال: إذا سلم الإمام من الصلاة، وأنا ما أكملت التشهد، فهل أسلم، أم أكمل التشهد ثم أسلم؟

الجواب: إن كان الباقي من الصلاة الإبراهيمية فإنك تكملها فرضًا، وإن كان الباقي الاستعاذة بالله من الأربع، فإنك تستعيذ سريعًا، ثم تسلم.

السؤال: من يقول: سمع الله لمن حمده، وهو مستوٍ قائم؛ لكنه ناي أو جاهل، هل تبطل صلاته؟

الجواب: لا، وهذا الحكم ليس متفقًا عليه، هذا قاله بعض الفقهاء وهو قريب ليس ببعيد، أعني القول، وهو خطير جدًّا؛ ولذلك لا ينبغي التساهل، لا شك أن موضع تكبيرة الانتقال من بعد الشروع إلى قبل الوصول، من بعد الشروع في الانتقال من الركن السابق، إلى قبل الوصول إلى الركن اللاحق، هذا موضع تكبيرة الانتقال إما أن يكون في الأول، أو في الوسط أو في الأخير. بارك الله في الجميع.

[المجلس الثالث]

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، **أما بَعْدُ؛**

فهذا هو اليوم العلمي الخامس من هذه الأيام العلمية في هذه الدورة العلمية المقامة في مسجد نبينا صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما علمتم بالأمس خصصنا هذا اليوم لإكمال شرح عقيدة الرازيين -رحمهما الله عزّ وجلّ-، فنكمل مستعينين بالله -عزَّ وجلَّ-، ويتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

قبل أن نشرع البارحة قلت إن الخلفاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون، وقلت أن الخلافة أربعون عامًا، وأن أردت أن أقول إنها انتهت بعام أربعين، وإلا فالخلافة ثلاثون عامًا من موت النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتهت بسنة أربعين حيث مات علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد؛**

اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين.

قال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان -رحمة الله عليهما-: وَأَنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- عَلَىٰ عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، بِلَا كَيْفٍ.

(الشرح)

ربنا -سبحانه وتعالى- هو العلي الأعلى، وقد علا -سبحانه وتعالى- بذاته فوق جميع خلقه، فهو -سبحانه- الظاهر، فليس فوقه شيء، وقد استوى -سبحانه- واستقر على عرشه بعد خلقه السموات والأرض.

العلو صفة ذاتية لربنا -سبحانه وتعالى-، ثم استوى -سبحانه وتعالى- على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤].

ومعنى استوى: علا واستقر، وصعد -سبحانه وتعالى-، علا واستقر وارتفع، هذا مقتضى اللغة،

وهذا ما جاء عن السلف الصالح -رضوان الله عليهم-.

وهذا ما يفهمه أهل الفطرة، فإن أهل الفطرة لا يفهمون من استوى إلا العلو والارتفاع، ولو قال لهم قائل: إن معنى استوى استولى، لنفروا من ذلك.

يقول لي أحد الإخوة من بلد من بلدان المسلمين، يقول: في الإعدادية في المتوسط التحقت بمعهد ديني، فكان أول حصة في تفسير ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، وقال الأستاذ أنه بمعنى استولى وكذا، قال: فرجعت إلى أمي في آخر اليوم، وأريد أن أسمعها ما استفدناه اليوم من فوائد، قال: فقلت لها ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، قالت: كيف يا أبني، هو ملكه كيف يستولي عليه؟! قال: فتركت هذا المعهد.

هذا مقتضى الفطر السوية، وإنك لتعجب من أقوام يعاندون في هذا، يعاندون في علو الله، ويعاندون في استواء الله -عزَّ وجلَّ- على عرشه، وأنت تجد أن كل من يؤمن بوجود الله يضطر اضطرارًا إذا ذكر الله أن يرتفع بقلبه إلى السماء، وقد يشير ترى العرب والعجم، الكفار والمسلمين ممن لم يتلوث بالتأويل، إذا ذُكر الله أشاروا إلى السماء، وارتفعوا بقلوبهم إلى السماء، وارتفعوا بأبصارهم إلى السماء.

والعرش -كما هو معلوم- سرير الملك، وعرش ربنا -سبحانه وتعالى- عظيم، وله قوائم، وهو سقف الفردوس الأعلى الذي هو أعلى الجنة، وهو أعلى المخلوقات، أعلى المخلوقات على الإطلاق عرش ربنا -سبحانه وتعالى-، وهو أعظم المخلوقات، تحمله ملائكة عظام، قال -تعالى-: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة:١٢٩].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله عزَّ وجلَّ- : **[الذي هو أعظم المخلوقات، وإذا كان رب العرش العظيم الذي وسع المخلوقات كان ربا لما دونه من باب أولى].**

وقال ابن كثير -رحمه الله-: **[العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات].**

وقال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[غافر:٧]، وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُذِن لي أن أُحدِّث عن ملكٍ من ملائكةِ اللهِ، من حملةِ العرشِ : إنَّ ما بينَ شحمةِ أُذنهِ إلىٰ عاتقِه، مسيرةُ سبعمائةِ عامٍ»، رواه أبو داود، وصححه الألباني.

«أُذِن لي»، أي: أذن الله لنبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة

العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.

ملائكة عظام يحملون هذا العرش العظيم، وعرش ربنا أوسع المخلوقات، قال -تعالى-: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقد قال بعض العلماء: إن الكرسي هو العرش، والأقرب أن العرش أعظم من الكرسي، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما السَّماواتُ السَّبعُ والأرَضينُ السَّبعُ عندَ الكُرسِيِّ إلا كحَلقَةٍ مُلقاةٍ في أرضِ فلاةٍ، وإنَّ فضلَ العرشِ علىٰ الكُرسِيِّ كفَضلِ الفلاةِ علىٰ تِلكَ الحَلقَةِ»، رواه ابن أبي شيبة في العرش، والبيهقي، وذكر الألباني في السلسة الصحيحة طرقه، ثم قال: وجملة القول بان الحديث بهذه الطرق صحيح.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذَا سَأَلْتُمْ اللهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهَا أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ»، أي: أعظمها «وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومنهُ تتفَجَرُ أنْهَار الجنة»، أخرجه البخاري.

قال الإمامان -رحمهما الله-: [بَائِنٌ من خَلْقه]، وهذه الجملة متواترة عن السلف، ويجعلونها من حقيقة الغيبان بالعرش، فمن قال أنا أؤمن باستواء الرحمن على عرشه؛ لكن لا أقول بائن من خلقه، يرون أنه ما جاء بحقيقة الإيمان باستواء العرش على الرحمن؛ ولذلك لما استتيب أحدهم، فقيل له: أتؤمن أن الرحمن على العرش استوى؟ قال: نعم، قالوا: أتؤمن أنه بائن من خلقه؟ قال: ما أدري ما هذا؟ قيل: ردوه إلى السجن فما تاب.

هذه الجملة تواتر عليها كلام السلف، وإن لم تكن في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-، قالها السلف ردًا على المبتدعة، فإنه -سبحانه وتعالى- مستوٍ على عرشه، منفصل عن خلقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- نقلًا عن معمر الأصبهاني: **[مستو على عَرْشه بائن من خلقه والخلق بائنون منْهُ بلَا حُلُول ولَا ممازجة ولَا اخْتلَاط ولَا ملاصقة لأَنَّه الْفَرد الْبَائِن من الْخلق الْوَاحد الْغَنِي عَن الْخلق]**.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أيضًا: [أهل السنة والحديث، وسلف الأمة متفقون على أنَّه فوق سماواته [على عرشه] بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمة

السنة].

وقال شيخ الأسلام ابن تيمية -رحمه الله- أيضًا: [وهذا باب واسع]، أي: النقل عن السلف أن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه [وهذا باب واسع لا يحصيه إلا الله تعالى فإن الذين نقلوا إجماع السلف أو إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم إلا الله وما من أحد من هؤلاء]، أي: الذين نقلوا الإجماع [المذكورين إلا وشهرته في الإسلام بالعلم والدين أعظم من أن يتسع لها هذا الموضع].

(كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِلَا كَيْفٍ)، فالاستواء معلوم من الكتاب والسنة، سمع الصحابة ذلك، فآمنوا بذلك، وأثبتوا معناه على مقتضى ما يفهمون من اللغة، ولم يسألوا عن الكيف، ولم يكيفوا، والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تلا على الأمة آيات الاستواء: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ما بيَّن لهم كيف استوى، ولا كيَّف صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالتكييف بدعة، والسؤال عنه بدعة؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- أعلمنا بالاستواء ولم يعلمنا بالكيف.

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة: أن القول بما دل عليه الكتاب والسنة، ونطق به السلف، سنة، وأن السكوت عما سكت عنه الكتاب والسنة والسلف سنة.

فجاء أهل الأهواء فحرفوا ما جاء في الكتاب والسنة، وما قاله السلف، ولم يسكتوا عما سكت عنه في الكتاب والسنة وفي لسان السلف.

قال الإمام مالك -رحمه الله عزَّ وجلَّ-: [إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ، قيلَ: يَا أَبَا عَبْد اللَّه، وَمَا الْبِدَعُ؟] ما البدع التي تحذرنا منها هنا في هذا الموطن، ف**قال -رحمه الله-**: [أَهْلُ الْبِدَعِ الذين يتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاته، وَكَلامه، وَعِلْمه، وَقُدْرَته، وَلا يَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ].

أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته بآرائهم وأهوائهم، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون.

هذه قاعدة يا طلاب العلم تعلموها: في الغيبات كلها نؤمن بما في الكتاب والسنة على مقتضى اللغة العربية، وبفهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، ونسكت عما سكت عنه في

الكتاب والسنة، وسكت عنه السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، لا نسأل عنه، ولا نتكلم فيه.

هذه قاعدة عظيمة في باب الغيبيات.

قال ابن قتيبة: [ما زَالَتْ الْأُمَمُ عربها وعجمها في جاهليَّتها وإسْلَامها مُعْتَرِفَةً بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ أَيْ عَلَى السَّمَاءِ. أَوْ يُقَالُ: بَلْ اسْتَوَى سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَيُنَاسِبُ كِبْرِيَاءَهُ وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ حَامِلُ لِلْعَرْشِ وَلِحَمَلَةِ الْعَرْشِ وَإِنَّ الِاسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفَ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالَ عَنْهُ بِدْعَةٌ كَمَا قَالَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ وَرَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ]، شيخ مالك، وقد رواه عنه بإسناده ابن عبدالبر **[وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ]**، وأيضًا قد رواه عنه بإسناده ابن عبدالبر.

فهذا ما عليه سلف الأمة، والنقول في هذا كثيرة جدًّا، نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل شيئًا منها الحافظ ابن عبدالبر -رحمه الله-.

(المتن)

قال -رحمهما الله-: أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

(الشرح)

انتبهو! السلف يقرونون معتقدهم باستواء الرحمن على عرشه بهذا الأمر العظيم، فيقولون إن الله -عزَّ وجلَّ- مستوٍ على عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه، وعلمه في كل مكان (**أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**)، ولا تخفى عليه خافية.

قال عبدالله بن الإمام أحمد -رحمهما الله-: **[سُئِلَ أَبِي: رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ]**.

وروى حنبل -رحمه الله-: **[قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: ما معنى قوله - تعالى -: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤]، و﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، قَالَ: عِلْمُهُ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، شَاهِدٌ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، يَعْلَمُ الْغَيْبَ، رَبُّنَا عَلَى الْعَرْشِ]**.

هكذا يقرر أهل السنة والجماعة، فربنا -سبحانه وتعالى- مستوٍ على عرشه، وعلمه محيط بكل شيء، نقل هذا جماعة عن الإمام أحمد، ونقله الإمام ابن عبدالبر عن عدد كبير من السلف الصالح -

رضوان الله عليهم-.

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

(المتن)

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(الشرح)

هذه الآية الجامعة المانعة في باب أسماء الله -عزَّ وجلَّ- وصفاته (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾)، فلا تمثل صفات الله -عزَّ وجلَّ- بشيء من الأشياء، وإنما تُفهم على النحو الصحيح على ما تقتضيه لغة العرب، على ما يليق بجلال الله -عزَّ وجلَّ-، وأجمع عليه سلف الأمة -رضوان الله عليهم-، ولا تُنفى بحجة تنزيه الله -سبحانه وتعالى-، (﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾)، -سبحانه وتعالى-.

(المتن)

وَأَنَّهُ تبارك وتعالىٰ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

(الشرح)

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله -سبحانه وتعالى- لا يُرى في الدنيا وأنه يرى في الآخرة بالأبصار، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَلَّمُواْ أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتىَّ يَمُوت»، رواه مسلم في الصحيح.

«تَعَلَّمُواْ»، فهذا مما يُتَعلم، ومما يعلمه الناس «تَعَلَّمُواْ أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتىَّ يَمُوت».

وهذا الحديث فيه دلالة على الأمرين:

الأمر الأول: أنه لن يرى أحد ربه في الدنيا، وإنما تنازع العلماء هل رأى النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه لما عُرج به، وما عدا ذلك فالعلماء مجمعون على أن الله لا يُرى في الدنيا.

والأمر الثاني: أن الله يُرى بعد الموت؛ لأن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل منتهى عدم الرؤية الموت، فالله يُرى -سبحانه وتعالى- يوم القيامة، **قال الله -عزَّ وجلَّ-:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣].

والنظر هنا يتعين أن يكون بالأبصار؛ لأنه ضيف إلى الوجوه، وعُدِي بإلى {وُجُوهٌ}، هذه الوجوه النضرة المنعمة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فأضيف إلى الوجوه، وعُدي بإلى.

هو لو عُدي بإلى فقط؛ لتعين أن يكون بالأبصار، فكيف وقد أضيف إلى الوجوه.

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦].

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ -عزَّ وجلَّ-، ثم تلىٰ قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» رواه مسلم في الصحيح.

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية لما سئل عن الزيادة، قال: «النظرُ إِلَىٰ وجهِ الله -تبارك وتعالىٰ-»، رواه ابن أبي عاصم، وصححه الألباني.

وقال -تعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]، فلما أخبر -رحمه الله عزَّ وجلَّ- أن أهل السخط محجوبون عن رؤية ربهم، عُلم أن أهل الرضا يرون ربهم.

ولذلك قال الإمام الشافعي: [لَمَّا حجب قَومًا بالسُّخْط دَلّ على أنَّ قَوْمًا يرونه بالرِّضا].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ذات ليلة وقد نظر إلى القمر وهو بدر، قال:** «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، وقال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عيانًا»، رواه البخاري في الصحيح، أي: سترون ربكم بأعينكم.

وقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ ربكم يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا»، أي: القمر ليلة البدر «لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، رواه البخاري في الصحيح.

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة -رضي الله عنهما-، جاء عن أبي سعيد في الصحيحين، وجاء عن أبي هريرة في الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة -رضي الله عنهما-: «أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ،

هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ»، أي: مضيئة، وواضحة، وضوؤها في الأرض ليس فيه سحاب «قَالُوا: لَا، قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ»، أي: أن ضوؤه في الأرض والسماء ليس فيها سحاب «قَالُوا: لَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»، متفق عليه.

فهم لا يضارون في رؤية الشمس في يوم صحو في عز الظهيرة، لكنهم لا يحيطون بالشمس، يرون الشمس بلا شك؛ لكنهم لا يحيطون بها، ولا يضارون في رؤية القمر في ليلة البدر، في يوم صحوٍ؛ لكنهم لا يحيطون بالقمر وهم يرونه من الأرض.

فالمؤمنون يرون ربهم، وينظرون إلى وجه ربهم؛ لكنه -سبحانه- لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأبصار.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن المؤمنين يوم القيامة:** «فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ»، متفق عليه.

فكل هذا دلَّ على ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من رؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم يوم القيامة، وأن أعظم نعيم يجدونه في الجنة هو: رؤيتهم ربهم -سبحانه وتعالى-، ونظرهم إلى وجه ربهم -سبحانه وتعالى-.

(المتن)

وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

(الشرح)

الله -سبحانه وتعالى- يكلم المؤمنين يوم القيامة تكليم تحية ورحمة، يسمعون كلامه، ويجيبونه -سبحانه وتعالى- ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[يس:٥٨]، وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا

أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، متفق عليه.

يسمعون كلام ربهم، وما أعظمها من نعيم، ويجيبون ربهم، ويبشرهم ربهم بأنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا.

وفي الحديث الآخر: «يُكَلمهم رَبهم، وَيَسْمَعُون كَلام رَبهِم وَيُجِيبُونه، وَيَكشفُ الحجاب -سبحانه وتعالىٰ-، فينظرون إِلَىٰ ربهم -تبارك وتعالىٰ-».

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ» متفق عليه.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَيْ عَبْدِي تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ نَعَمْ رَبِّ حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ»، متفق عليه.

فربنا -سبحانه وتعالى- يتكلم متى شاء، كيف شاء، بما شاء -سبحانه وتعالى-، نؤمن بهذا، ونرجو من ربنا -سبحانه- أن نسمع كلامه في الجنة، وأن نكون ممن ينظر إلى وجهه الكريم -سبحانه وتعالى-.

(المتن)

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَانِ.

(الشرح)

يجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن، قال -تعالى-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ﴾، فهي معدة معدة للمتقين موجودة.

وقال -سبحانه-: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[الحديد:٢١]، فهي معدة.

وقال -تعالى-: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٤]، فالنارة معدة موجودة.

وقال -سبحانه-: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:١٣١].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف: «لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ انْ آخُذَ قِطْفا مِنَ الْجَنَّةِ»، أي: رأى الجنة في مقامه، حتى أنه أراد أن يأخذ قطفًا من الجنة.

قال: «حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ»، متفق عليه.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَىٰ الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا "، قَالَ: "فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا"، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا "، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَىٰ النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»، رواه الترمذي وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

وهذا نص في كون الجنة والنار مخلوقتين، موجودتين، وهذا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

(المتن)

لَا يَفْنَيَانِ أَبَدًا.

(الشرح)

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الجنة لا تفنى أبدًا، وعلى أن النار لا تفنى أبدًا، قال -تعالى-: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[آل عمران:١٣٦].

وقال -سبحانه-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[النساء:٥٧].

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[النساء:١٦٨] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[النساء:١٦٩].

لكن من يدخل النار من عصاة الموحدين بذنبه، إذا لم يعفو الله عنه، لا يخلد في النار؛ بل يخرج منها، ويدخل الجنة ولابد، ولن يبقى في النار موحد.

ولهذا قال ابن القيم -رضوان الله عليهم-: [وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ طَيِّبٌ لَا يَشُوبُهُ خَبَثٌ]، ليس المقصود أنه لم يذنب، لكن المقصود: إما أنه تاب، وإما أن حسناته قد رجحت على سيئاته؛ فصار طيبًا كأنه لم يشبه خبث.

قال: **[وَخَبِيثٌ لَا طيبَ فيه]**، وهذا هو الكافر والمنافق **[وَآخَرُونَ فِيهِمْ خَبَثٌ وَطِيبٌ]**، ويقصد بهم عصاة الموحدين الذين يدخلون النار، ما عفى الله -عزَّ وجلَّ- عنهم.

قال: **[كانت دورهم]**، أي: في الآخرة **[ثلاثا دَارُ الطَّيِّبِ الْمَحْضِ]**، وهذه الجنة **[وَدَارُ الْخَبِيثِ الْمَحْضِ]**، وهذه النار بالنسبة للكفار والمنافقين.

قال: **[وَهَاتَانِ الدَّارَانِ لَا تَفْنَيَانِ]**، فأهل الجنة خالدون فيها أبدًا، والكفار والمنافقون خالدون في النار أبدًا.

قال: **[وَدَارٌ لِمَنْ مَعَهُ خَبَثٌ وَطِيبٌ]**، ليس المقصود أن لهم نارًا خاصة؛ لكن هي دار بالنسبة لهم، وهي ليست دار عذاب محض؛ بل إن الموحد لا تنال النار منه موضع السجود، وبعض العلماء قال: ولا قلبه، كما أن الموحد بوعد الله يرجو الخروج من النار.

قال -رحمه الله عزَّ وجلَّ-: **[وَدَارٌ لِمَنْ مَعَهُ خَبَثٌ وَطِيبٌ وَهِيَ الدَّارُ الَّتِي تَفْنَى]**، أي: تفنى بالنسبة لهم، فمن خرج من النار، فنيت النار بالنسبة له، من خرج من النار من الموحدين فنيت النار بالنسبة له؛ لأنه لا يراها، ويدخل الجنة.

قال: **[وَهِيَ دَارُ الْعُصَاةِ, فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ أَحَدٌ]**، وهذا توضيح بين طيب من ابن القيم -رحمه الله عزَّ وجلَّ-.

وما ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من أنه قال: أن الجنة لا تفنى أبدًا، وأن النار تفنى،

لا يصح عنه؛ بل جاء عنه التصريح في عدة مواضع بأن النار لا تفنى، أو يُحمل ما يوهم من كلامه على ماذكره ابن القيم -رحمه الله عزَّ وجلَّ-.

(المتن)

وَالْجَنَّةُ ثَوَابٌ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ -عزَّ وجلَّ-.

(الشرح)

جعل الله الجنة ثوابًا للموحدين بفضله، وعقابًا للكفار والمنافقين وعصاة الموحدين إن شاء عقابهم بعدله.

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ من عبادي، ثُمَّ قَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ من عبادي»، متفق عليه.

(المتن)

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.

(الشرح)

أجمع أهل السنة على أن الصراط حق لا يشكون في ذلك.

وهنا ستلحظون أن الإمامين لا يرتبان الكلام بحسب الواقع يوم القيامة؛ لأن هذا جواب سؤال، ليس كتابة يدقق فيها، وترتب، وإنما هو جواب سؤال كما جاء في أول الرسالة.

فبدأ بالصراط، وقد أجمع أهل السنة على أن الصراط حق لا يشكون في ذلك.

والصراط: جسر منصوب على متن جهنم، من أرض المحشر إلى القنطرة بين النار والجنة، أدق من الشعر، وأحد من السيف، زلق مزلة، يصعد عليه المنافقون والمؤمنون، أما الكفار فيتساقطون في جهنم قبل الصراط، أما المنافقون الذين كانوا يظهرون الإيمان مع المؤمنين، فإنهم يعطون نورًا، حتى إذا ركبوا الصراط، وركبوا الجسر، أُطْفِيء نورهم، كانوا يخادعون الله والذين آمنوا في الدنيا، فكان من عقابهم هذا، يعطون نورًا حتى إذا ركبوا الصراط أطفيء النور، فيرجعون ورائهم، فيتساقطون في جهنم إلى الدرك الأسفل من النار.

وأما المؤمنون فيعطون أنوارًا بمقدار صلاحهم، ويمرون على الصراط بمقدار أنوارهم وأعمالهم،

فمنهم ناجٍ مسلم، ما يصيبه خدش، ومنهم ناجٍ مخدوش، ومنهم مكردس في النار.

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟ " قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ»، هذا شوك موجود في صحراء نجد يكون مفلطحًا، وشوكه معقوف « قال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ»، متفق عليه.

وقال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا»، أي: على الجسر « كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَىٰ يَمر آخرهم يَسحبُ سحبًا»، رواه البخاري في الصحيح.

وقال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا».

وفي هذا عظم شأن حفظ الرحم والأمانة، الذي يحفظ رحمه، ويصل رحمه، ويحفظ الأمانة، يُرجى له الحفظ على الصراط.

قال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ»، أي: كسرعة البرق في لمعانه « ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؟ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا».

الأمر عظيم، والآن أنتم تعدون لذلك، اجتياز الصراط والسرعة في اجتيازه بحسب الأعمال اليوم، من عمل صالحًا وأحسنه، وأكثر من الأعمال الصالحة، كان أسرع سيرًا على الصراط، ومن قلَّ عمله كان دون ذلك، فإما أن ينجو مخدوشًا حتى أنه قد يسحب سحبًا تقع منه يد ويمسك بالأخرى، وتقع منه رجل ويمسك بالأخرى، حتى يسلم.

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ»، فوق الجبل العظيم «وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ عَلَىٰ إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً»، هذا الأخير «إِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ، فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ، مَزِلَّةٌ، فَيُقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَىٰ قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ»، كانقضاض النجم عندما يُرى ينقض «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ»، كإغماضة العين، وفتح العين «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، يَرْمُلُ رَمَلًا»، منهم من يرمل رملًا ليس شدًا كشد الرجل، ليس جريًا سريعًا، وإنما يرمل رملًا «فَيَمُرُّونَ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَىٰ إِبْهَامِ قَدَمِهِ، تُجَرُّ يَدٌ، وَتَعْلَقُ يَدٌ، وَتُجَرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ»، وفي رواية: «يخر يدًا ويعلق يدًا».

«وَتُجَرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ»، رواه الحاكم، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(المتن)

وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَّتَانِ، تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، حَقٌّ.

(الشرح)

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن هناك في يوم القيامة ميزانًا حقيقيًا له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد، ويوزن فيه العاملون، وتوع فيه الصحف التي كتبت فيها الأعمال، ويكون رجحان إحدى الكفتين بحسب الأعمال من حسنة أو سيئة، قال -تعالى-: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف:٩].

من ثقلت موازينه ولو بحسنه واحدة، ثقلت كفة الحسنات، ورجحت بكفة السيئات {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

وقال -تعالى-: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾[الأنبياء:٤٧].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»، متفق عليه.

فكل هذا يدل على ثبوت الميزان، وأنه ميزان حقيقي، وله كفتان، وكل ميزان له كفتان له لسان؛ ولذلك يثبت أهل السنة والجماعة الميزان بكفتين ولسان، فيثبتون الميزان بكفتين ولسان.

(المتن)

وَالْحَوْضُ الْمُكْرَمُ بِهِ نَبِيُّنَا حَقٌّ.

(الشرح)

والحوض حوض عظيم، أُكرم به النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلكل نبي حوض يوم القيامة؛ لكن أعظمها وأكرمها حوض نبينا صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصبُ فيه ميزبان من نهر الكوثر، أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، مربع الشكل، عرضه شهر، وطوله شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، وأبرد من الثلج، عليه كيزان كنجوم السماء؛ بل أكثر من نجوم السماء، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ يَشْرَبْ منها فلا يَظمأُ أبدًا»، رواه البخاري.

وقال صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ»، رواه مسلم في الصحيح.

وأحاديث الحوض متواترة كثيرة، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلنا ممن يرده ويشرب منه.

(المتن)

وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وَإِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ حَق.

(الشرح)

الشفاعة، والمراد بها: التوسط للغير بالخير.

والشافعة يوم القيامة فيها إكرام الشافع، وفيها نفع المشفوع له، وقد أُعطي النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة، كما في الحديث عند البخاري، النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك الشفاعة، وإنما

الذي يملك الشفاعة الله -سبحانه وتعالى-؛ ولكن الله أعطى نبيه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة، وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إني اختبأتُ دَعوتي شفاعةً لِأُمتي يوم القيامة».

«لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة وإني اختبأتُ دَعوتي شفاعةً لِأُمتي يوم القيامة»، متفق عليه.

ويجب أن نعلم أنه يشترط في الشفاعة النافعة يوم القيامة رضا الله عن الشافع، وعن المشفوع له، وإذن الله بالشفاعة.

رضا الله عن الشافع، ورضا الله عن المشفوع له، والمقصود: أن يكون موحدًا، فلا ينتفع بالشفاعة يوم القيامة إلا موحد، وإنما تنال شفاعة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قال لا إله إلا الله صادقًا من قلبه، كما أخبر النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال -تعالى-: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[طه:١٠٩].

وقال -سبحانه-: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦].

ويشفع بإذن الله يوم القيامة الملائكة، والنبيون، وأقوام من المؤمنين، ويختص النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشفاعة العظمى، حيث يهابها كل أحد، ويدفعها كل أحد، ويتقدم لها النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيسجد ويثني على ربه، ويفتح الله عليه بمحامد يثني بها على ربه؛ حتى يأذن الله له بأن يشفع، فيشفع للفصل بين الخلائق، وهذه الشفاعة العظمى، والمقام المحمود الذي يغبطه عليه نبينا صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كذلك يختص صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشفاعته لأهل الجنة في دخولها، فهو الذي يشفع لأهل الجنة في دخول الجنة، وهو أول من تُفتح له الجنة صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كذلك يختص بشفاعته لعمه أبو طالب أن يخفف عنه العذاب.

وعصاة الموحدين ينتفع منهم من شاء الله أن ينتفع بالشفاعة في موطنين:

الموطن الأول: قبل دخول النار، يستحقون دخول النار، فيشفع لهم أن لا يدخلوا النار بإذن الله، فلا يدخلون النار أصلًا.

والموطن الثاني: عند دخول النار، فيدخل بعض عصاة الموحدين النار، فيشفع لهم الشافعون بإذن

الله، ويأذن الله في إخراجهم من النار.

وهذا الذي أشار إليه الشيخان؛ لأن المعتزلة والخوارج يخالفون في هذا، والشيخان إنما ذكرا الأصول التي يتميز بها أهل السنة والجماعة عن أهل البدع.

(المتن)

وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ.

(الشرح)

يؤمن أهل السنة والجماعة بعذاب القبر، وأن من المقبورين من يعذب في قبره في حياة برزخية لا نعلم كنهها، ولا حقيقتها، والله يعلمها -سبحانه وتعالى-، فمنهم من يعذب عذابًا دائمًا، ومنهم من يعذب عذابًا ينقطع، وهذا في شأن الموحدين العصاة، ومنهم من ينعم في قبره ويوسع عليه قبره، ويعرض عليه مقعده من الجنة صباحًا ومساءً كما ثبت ذلك في عدد من الأحاديث، والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ من عذاب القبر كما ثبت في الصحيح، وأمرنا في كل صلاة أن نستعيذ في آخرها من عذاب القبر كما ثبت في الصحيح.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالغيب كما ورد في الكتاب والسنة، ولا يدخلون عقولهم، ولا يعارضون النصوص بالأسئلة، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة.

(المتن)

وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ.

(الشرح)

المقصود: أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بفتنة القبر، وأن الناس في الجملة إلا من استثني يفتنون في قبورهم، ويسألون، وأن الميت إذا قُبر أتاه ملكان أحدهما المنكر والآخر النكير، فيجلسانه، وإنه ليسمع قرع نعال أهله، فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ من هذا الرجل الذي بُعِث فيكم؟

فيجيب الموفق، وينادي منادٍ من السماء أن صدق، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، ولا يوفق المخذول، ويكون جوابه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب، فأفرشوه

من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، ثبت هذا في عدد من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

وَالْكَرَامُ الْكَاتِبِينَ حَقٌّ.

(الشرح)

الكرام الكاتبون الذين يحصون أعمال العباد ويكتبونها، من حسن وسيء، حق يؤمن به أهل السنة والجماعة كما جاء في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ.

(الشرح)

البعث حق.

والبعث هو: إحياء الموتى يوم القيام؛ للحساب، حيث يعيد الله -عزَّ وجلَّ- الناس كما خلقهم أول مرة، فيبعثهم من قبورهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[الحج:٧].

قال -تعالى-: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[الأنبياء:١٠٤].

وقال -تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «قَامَ فِينَا رَسُول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوعِظَةٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورونَ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،ألا وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسَىٰ يَومَ القِيَامَةِ إبراهيمُ»، متفق عليه.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل هذا.

(المتن)

وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا نُكَفِّرُ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(الشرح)

الذنوب منها كبائر وصغائر، وكلها معصية لله -عزَّ وجلَّ-، والموفق يحرص على اجتناب الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، فإن زلت القدم، وغلب الضعف، سارع إلى الاستغفار والتوبة.

ولعلم المؤمن أنه خطاء فإنه يكثر من الاستغفار في يومه وليلته، يستغفر في كل مجلس، ويكثر من الاستغفار في يومه وليلته.

والكبائر: هي الفواحش التي رُتب عليها حد في الدنيا، أو لعن، أو غضب، أو حبوط، أو وعيد، أو دخول النار، أو سميت في النصوص كبيرة.

وارتكاب الكبيرة غير الشرك عند أهل السنة والجماعة، منقص للإيمان؛ لكنه لا يذهب بأصل الإيمان.

من ارتكب الكبيرة نقص إيمانه؛ لكن لا ينتقض إيمانه، ولا يذهب أصل إيمانه، فمرتكب الكبائر من الموحدين هم في الدنيا مسلمون ناقصو الإيمان، فُساق ما لم يتوبوا، ومن تاب كان كمن لم يذنب.

أي: من اتركب الكبيرة ينقص إيمانه، ويصير فاسقًا؛ لكنه لا يصير كافرًا، فإن وفقه الله للتوبة فتاب صادقًا، عاد إليه ما نقص من إيمانه، وكان كمن لم يذنب.

فالموحد لا يكفر بذنب يرتكبه، وإن كان كبيرة من كبائر الذنوب.

ويعامل الناس بظواهرهم، والله أعلم بسرائرهم، لا يجوز الحكم على السرائر، فإنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله -سبحانه وتعالى-، ولا يؤخذ الناس بالظنون، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات:١٢]، وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنَقِّبَ علىٰ قُلُوبِ النَّاسِ»، رواه مسلم في الصحيح.

ومرتكب الكبيرة لا ينتقض إسلامه، ولا يخرج عن أخوة الإسلام، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات:١٠].

لا شك أن هنا مرتكبًا لكبيرة، وسماهم الله إخوة.

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، فدل على أن الكبائر دون الشرك تحت المشيئة، فإن شاء غفر الله -عزَّ وجلَّ-.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، متفق عليه.

«مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فلو كان يكفر بكونه مرتكبًا للكبيرة، فإنه لا يدخل الجنة.

وقوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ»، يشمل كل من لم يشرك بالله، سواء ارتكب كبيرة أو لم يرتكب كبيرة.

وقال ابن عبدالبر: [وَقَد اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةُ وَهُمْ أَهْلُ الْفقْه وَالْأَثَرِ عَلَى أَنَّ أَحَدًا لَا يُخْرِجُهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ عَظُمَ من الْإِسْلَام].

ومرتكب الكبيرة يوم القيامة يكون تحت مشيئة الله، فإن شاء غفر الله له، وعفى عنه، وهو الغفور الرحيم، العفو الغفور -سبحانه وتعالى-، وإن شاء عاقبه بذنبه، قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مانع الزكاة: «ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ»، رواه مسلم في الصحيح.

ولا شك أن مانع الزكاة مرتكب لكبيرة عظيمة؛ لكن قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ».

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ».

انتبهوا! لهذا العموم:

«مَا»: نافية.

«مِنْ»: مؤكدة للعموم.

«عَبْدٍ»: نكرة في سياق النفي.

«قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»، لم ينقض قوله لا إله الله.

«مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قلت: وإِنْ زَنَىٰ وإِنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإِنْ زَنَىٰ وإِنْ سَرَقَ قُلتُ: وإِنْ زَنَىٰ وإِنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإِنْ زَنَىٰ وإِنْ سَرَقَ قُلتُ: وإِنْ زَنَىٰ وإِنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإِنْ زَنَىٰ وإِنْ سَرَقَ علَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ وكانَ أبو ذَرٍّ إذَا حَدَّثَ بهذا قالَ: وإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ»، فصار أبو ذر إذا حدث بالحديث، يقول: «علىٰ رغم أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ»، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الحديث متفق عليه، وهو ظاهر الدلالة في أن مرتكب الكبيرة قد يدخل الجنة.

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: [فَإِنْ مَاتَ صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ فَمَصِيرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، فَإِنْ عَذَّبَهُ فَبِجُرْمِهِ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُ فَهُوَ أَهْلُ العَفْوِ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ].

قال: [وَبِهَذَا كُلِّهِ الآثَارُ الصِّحَاحُ عَنِ السَّلَفِ قَدْ جَاءَتْ، وَعَلَيْهِ جَمَاعَةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ]، وهذا أمر ظاهر بحمد الله.

(المتن)

وَنُقِيمُ فَرْضَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ مَع أئمةِ المسلمين فِي كُلِّ دَهرٍ وزمان.

(الشرح)

من الأصول العظيمة عند أهل السنة والجماعة نصب ولي الأمر المسلم، ومعاملته المعاملة الشرعية، وشأن ولي الأمر المسلم عند أهل السنة والجماعة شأن عظيم.

ومن ذلك: أن أهل السنة والجماعة يرون أن الجهاد غير جهاد الضرورة تحت راية ولي الأمر المسلم برًا كان أو فاجرًا، فأمر الجهاد موكول إليه، وكل راية يعلن تحتها الجهاد ليست راية ولي الأمر المسلم، فهي راية عمية، راية جاهلية، لا يقام تحتها الجهاد، وأن الجهاد باقٍ ما بقي المسلمون.

وهذا معنى قولهم إلى يوم القيامة، أي: ما بقي المسلمون؛ لأن آخر الزمان لا يبقى مؤمن، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، فمنتهى الجهاد المقصود به ما بقي المسلمون، فإذا لم يبقى على الأرض مسلم، وبقي شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة، لا يكون هناك جهاد.

والجهاد مع ولاة الأمر المسلمين لا يبطله جورهم، ولا فسقهم، ما داموا مسلمين، هكذا يقول أهل السنة والجماعة.

ومثل الجهاد الحج؛ لأن الحج لابد له من أمير يقوم على أمر الناس، وأمير الحج هو الحاكم المسلم أو من ينيبه، ويجعله أميرًا.

فلابد أن يكون الحج مع أمير الحج، ولا يختلف عليه في ذلك، ما يجوز أن تقف طائفة في عرفة في غير اليوم الذي يقف فيه أمير الحج، وهذا يجمع عليه أهل السنة والجماعة.

فكلمة أهل السنة والجماعة واحدة: أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة مع الأمراء البرِ والفاجر، لا يترك ذلك.

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أطَاعَنِي فقَدْ أطَاعَ اللهَ، ومَن عَصَانِي فقَدْ عَصَىٰ اللهَ، ومَن يُطِعِ الأمِيرَ فقَدْ أطَاعَنِي، ومَن يَعْصِ الأمِيرَ فقَدْ عَصَانِي، وإنَّما الإمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِن ورَائِهِ ويُتَّقَىٰ به»، رواه البخاري.

فالأمير المسلم الذي هو الإمام «جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِن ورَائِهِ ويُتَّقَىٰ به».

وروى الحديث مسلم -أيضًا- لكنه روى الجملة الأخيرة «وإنَّما الإمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِن ورَائِهِ ويُتَّقَىٰ به».

ولم يُعرف في تاريخ الإسلام منذ هجرة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهاد إلا تحت راية ولي الأمر، ولم يُعرف في تاريخ الإسلام من زمن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج إلا مع أمير الحج، سواء كان ولي الأمر أو من أنابه ولي كما أناب النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحج.

[المجلس الرابع]

(المتن)

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أما بَعْدَ؛

قال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان -رحمة الله عليهما-: وَلَا نَرَىٰ الْخُرُوجَ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ، وَلَا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ.

(الشرح)

أهل السنة والجماعة لا يرون الخروج على ولي الأمر المسلم ما دام مسلمًا، وأن جوره لا يجيز الخروج عليه، وأن فسقه لا يجيز الخروج عليه، ويرون الصبر على ما يُرى من الأئمة من أمور تكره، ومن جوْر ونحو ذلك.

ويرون أن من كفَّر المسلمين واستحل فيهم السيف، ورأى الخروج على ولي الأمر المسلم بالسيف من الخوارج المارقين، شرار الخلق، وكذلك من اعتقد ذلك ولو لم يشهِر السيف.

من اعتقد الخروج على ولي الأمر المسلم بالسيف أو كفَّر المسلمين واستحل فيهم السيف ولو لم يخرج بالسيف من الخوارج المارقين، وكذلك من الخوارج مَن زيَّن وقعَد، فزيَّن للناس الخروج، وقعد، فهو من الخوارج القعدة، وهم من أخبث الخوارج.

وكذلك من الخروج شحن قلوب العامة على ولي الأمر المسلم، فإن هذا نوع من أنواع الخروج.

قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنَ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، متفق عليه.

«مَنَ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ»، فليصبر على أميره، ثم انظر الربط! «فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا»، لم يصبر على أميره، إذا لم يصبر على أميره، فإنه يفارق الجماعة، ومن فارق الجماعة شبرًا «فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، أي: على طريقة أهل الجاهلية.

وسأل أحد الصحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أرأيتَ إن قامتْ علينا أُمراءُ يسألونَا حقهُم، ويمنعونَا حقنا؟ قال: اسْمعُوا وأطِيعُوا فإنّما عليهم ما حُمّلوا، وعليكُم ما حُمّلتُم»، رواه

مسلم.

فهؤلاء الأئمة أئمة جور، يطلبون من الناس حقهم، ويمنعون الناس حقهم، ومع ذلك قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمعُوا وأطِيعُوا»، ثم بيَّن القاعدة الشريفة المنيفة العظيمة: «فإنّما عليهم ما حُمّلوا، وعليكُم ما حُمّلتُم»، والكل سيسأل بين يدي الله -عزَّ وجلَّ- عما حُمِّل.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، رواه مسلم في الصحيح.

انظروا! شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، ولا شك أن هذا ما يكون إلا مخالفات، قالوا: «أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ يَا رَسُولَ»، ما دام أن الأمر كذلك.

قال: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»، أي: ما كانوا مسلمين، ثم قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ»، ما يُحب العمل؛ لأن ولي الأمر -مثلًا- يعمله أو يأذن فيه ما دام أنه يُخالف شرع الله، «فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، وهذا الحديث -كما قلنا- عند مسلم في الصحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [الصَّبْرُ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ].

قال: (وَلَا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ): ما هو القتال في الفتنة؟

القتال في الفتنة: أن تقتتل طائفتان من المسلمين، ولكلٍ منهما تأويل له وجه.

أي: ما يكون في إحدى الطائفتين ولي أمر مسلم قد قامت له الولاية؛ لأنه إذا كان في إحدى الطائفتين ولي أمر مسلم قد قامت له الولاية، فإنه يُقاتَل معه، لكن إذا اقتتلا الطائفتان من المسلمين، ولكل طائفة تأويل له وجه، حتى لو كانت إحدى الطائفتين تعتقد اعتقادًا أن المقابل لم تَقُم فيه أو له الولاية، فهذا قتال فتنة، وأكثر أهل السنة والجماعة يرون اجتناب قتال الفتنة، وأن لا يُقاتَل في الفتنة؛ لعظِم شأن الدماء.

(المتن)

وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- أَمْرَنَا، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ.

(الشرح)

أهل السنة والجماعة يرون السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله -سبحانه وتعالى-، ولا ينزعون يدًا من طاعة ما بقي ولي الأمر مسلمًا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَىٰ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِن أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»، متفق عليه.

«عَلَىٰ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ»، أي: يجب عليه.

«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ»، أيًا كان سبب الكراهية.

«مَا لَمْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِن أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»، في هذه المعصية، ولا تُنزع اليد من الطاعة بسبب المعصية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [تجب طَاعة ولاة الأمور لأمر الله بطاعتهم].

(المتن)

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

(الشرح)

أهل السنة والجماعة يتمسكون بالسنة، ويتمسكون بالجماعة، فهم أهل اتباع للسنة، وأهل اعتصام بالجماعة.

والجماعة عند أهل السنة والجماعة جماعتان، **كلاهما يُتمسك به ويُعتصم:**

أما الجماعة الأولى فجماعة الدين، الجماعة في الدين، وهي جماعة واحدة، وهم: من كان على ما كان عليه النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهذه جماعة الدين، ما تحدها حدود، ولا تفرقها بلدان، هي جماعة واحدة، **لها ضابط واحد:**

التمسك بما كان عليه النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

والجماعة الثانية: جماعة الأبدان بالكون مع ولي الأمر المسلم في البلد، والأمر بلزوم هذه الجماعة،

فهم محققون لقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ في دينكم، ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾، وحبل الله: الكتاب والسنة، وجماعة الدين الذين هم على ما كان عليه النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾، هذا نهي عن التفرق، التفرق عن جماعة الدين، والتفرق عن جماعة البدن يدخل في هذا، وهم محققون لقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩]، فهم محققون لجماعة الدين بطاعة الله وطاعة رسوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحققون لجماعة الأبدان بطاعة ولاة الأمر المسلمين في غير معصية الله -سبحانه وتعالى-.

وهم متمسكون بقول النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، متفق عليه.

«تَلْزَمُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ»: الذين هم على مثل ما كان عليه النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والذين هم تحت راية الإمام، راية ولي الأمر يسمعون ويطيعون له.

وأهل السنة والجماعة يجتنبون ويتركون الخلاف المذموم، **والخلاف المذموم يكون بمخالفة الجماعة بنوعيها:**

مخالفة جماعة الدين خلاف مذموم.

ومخالفة جماعة الأبدان بالفرقة عنها خلاف مذموم.

وكذلك يكون الخلاف مذمومًا بمخالفة النصوص، مخالفة النصوص خلاف مذموم، فمن علِم النص وعلِم مدلوله وخالفه فقد أتى بخلاف مذموم وهذا ليس على طريقة أهل السنة والجماعة؛ أهل السنة والجماعة يجتنبون هذا الخلاف.

كذلك يكون الخلاف مذمومًا بالخلاف الجدلي الذي لا يُقصد منه الانتصار للحق، وإنما يقصد منه الانتصار للنفس أو للشيخ، فإن هذا من الخلاف المذموم الذي يجتنبه أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة ليسوا أهل خلاف جدلي يقصد منه الانتصار للمخالف نفسه أو لشيخ أو نحو ذلك، ويجتنبون هذا الخلاف، ولا يدخلون فيه، ولا يخوضون غماره، وإنما يبينون الحق، ويبينون السنة.

وأهل السنة والجماعة يجتنبون الشذوذ، والشذوذ هو الانفراد عن الجماعة وترك ما دل عليه الدليل.

الانفراد عن الجماعة؛ جماعة الدين أو جماعة الأبدان، أو ترك ما دل عليه الدليل بعد العلم به والعلم

بدلالته هذا شذوذ، وليست العبرة بالكثرة والقلة، وإنما العبرة بهذا الذي ذكرناه؛ الانفراد عن الجماعة الشرعية أو ترك ما دل عليه الدليل بعد العلم به.

وأيضًا أهل السنة والجماعة يجتنبون الفرقة، **والفرقة تكون بأمرين:**

مفارقة الجماعة أو البدعة.

مفارقة الجماعة؛ جماعة الدين أو جماعة الأبدان هذه فرقة يجتنبها أهل السنة والجماعة، والبدعة فرقة؛ **ولذلك قال ابن الأثير: [الفرقة ترك السنة واتباع البدعة].**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة]، وكل هذا يدخل في قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران:١٠٥]، فأهل السنة والجماعة يجتنبون هذا كله.

(المتن)

وَأَنَّ الْجِهَادَ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- نَبِيَّهُ صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ، وَالْحَجُّ كَذَلِكَ.

(الشرح)

هذا تقدم، وتلحظون أنه تكرر، فهذا إما أنه من الناسخ، سهو من الناسخ، وإما لأن هذا كان جوابًا عن سؤال غير مكتوب.

والمعلوم: أن المتكلم أحيانًا ينسى، فيظن أنه لم يقل، فيقول مرة أخرى، وأحيانًا يؤكد بعد أن ينتقل إلى جملة، ثم يرجع إلى الجملة ليؤكدها، فهذا الذي وقع في هذا الموطن وموطن قبله إما أنه من النسّاخ، وإما لأن هذا الكلام كان إملاءً، كان كلامًا لم يكن تحريرًا، فالكلام فيه كما تقدم.

(المتن)

وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوَائِمِ إِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

(الشرح)

من شأن ولي الأمر عند أهل السنة والجماعة أنه تدفع إليه الصدقات والزكوات.

والزكاة إما أن تكون في أموال ظاهرة، وإما أن تكون في أموال باطنة.

والمقصود بالأموال الظاهرة: ما يراه الفقراء ويراه الناس، وهو الزروع والثمار، وسوائم بهيمة الأنعام؛ لأن الناس والفقراء يرون الزرع، ويرون الثمر عليه، يرون الحبوب عليه، ويرون الأشجار، ويرون الثمار عليها، ويرون سوائم بهيمة الأنعام، فهذا يسمى بالأموال الظاهرة.

والأموال الظاهرة ذهب بعض الفقهاء إلى: أنه يجب على ولي الأمر أن يبعث السعاة لجبيها وإحضارها، ويجب على أهلها دفعها لولي الأمر، ولا يجوز لهم أن يخرجوها بأنفسهم.

وذهب بعض الفقهاء إلى: أنه يجوز لأصحاب هذه الأموال الظاهرة أن يخرجوها بأنفسهم إلا إذا طلبها ولي الأمر.

أي يقولون: إن طلبها ولي الأمر فإنها تدفع إليه.

أما إذا لم يطلبها ولي الأمر فلا يلزمهم أن يذهبوا بها إليه.

في القول الأول يقولون: لابد من أن تُسلم لولي الأمر، ما يجوز لصاحب المال أن يخرجها.

والقول الثاني يقولون: لصاحب المال أن يخرج زكاته ما لم يطلبه ولي الأمر، فإن طلبه ولي الأمر فإنه يسلمه لولي الأمر، وتبرأ ذمته.

هذه الأموال الظاهرة.

وأما الأموال الباطنة، فهي: الأموال التي لا يراها الفقراء، مثل: النقود -مثلًا-، والذهب، والفضة، هذا الأصل أنه لا يكون ظاهرًا أمام الناس، وهذه الأصل فيها: أن أصحابها يخرجون زكاتها بأنفسهم، إلا إذا طلبها ولي الأمر، فإذا طلبها ولي الأمر فإنها تدفع إليه.

هذه هي المسألة.

(المتن)

وَالنَّاسُ مُؤَمَّنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ.

(الشرح)

الناس بحسب الظاهر:

من أظهر الإيمان فهو مؤمن حكمًا، ففي الأحكام يُعامل معاملة المؤمنين، لو مات يُغسَّل، ويُكفَّن،

ويُصلَّى عليه، ويُدفن في مقابر المسلمين، ويرث ويورث، هذا بحسب الظاهر، ولا ننقب عن القلوب.

(المتن)

وَلَا نَدْرِي مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ -عزَّ وجلَّ-، فَمَنْ قَالَ: (إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا) فَهُوَ مُبْتَدِعٌ.

(الشرح)

(**فَمَنْ قَالَ: (إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا) فَهُوَ مُبْتَدِعٌ**)، لأن هذا لم يرد، ولم يكن جاريًا عند السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، كما أنه لا يجوز للإنسان أن يشك في إيمانه، فيقول مؤمن إن شاء الله على سبيل الشك.

(المتن)

وَمَنْ قَالَ: (هُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ) فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

(الشرح)

(**وَمَنْ قَالَ: (هُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ) فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**)، فإن الله أعلم بعباده.

(المتن)

وَمَنْ قَالَ: (إِنِّي مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا) فَهُوَ مُصِيبٌ.

(الشرح)

(**وَمَنْ قَالَ: (إِنِّي مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا) فَهُوَ مُصِيبٌ**)، ولا يجوز الشك في هذا؛ بل لابد من الجزم واليقين أنه مؤمن بالله.

ولذلك لا يجوز أن يستثني الإنسان من الإيمان على سبيل الشك هل هو مؤمن أو ليس مؤمن، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

أما باعتبار أن شعب الإيمان كثيرة، وأنه لا يحيط بها، أو باعتبار الموافاة، وأن الإنسان لا يدري ما يُختم له به فنعم؛ يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وبهذا انتهت هذه الأصول، ثم سيشير الإمامان إلى من خالف في هذه الأصول.

(المتن)

قالا: وَالْمُرْجِئَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ.

(الشرح)

المرجئة الذين يقولون: إن العمل ليس من الإيمان، وإن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن إيمان المؤمنين واحد، وأنه لا يُكفر إلا بالجحود، هؤلاء المبتدعة خالفوا ما دل عليه الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف الصالح -رضوان الله عليهم-.

(المتن)

وَالْقَدَرِيَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ.

(الشرح)

القدرية من أشرّ المبتدعة، ومن أوائل المبتدعة ظهورًا في الإسلام، ظهروا في أواخر زمن الصحابة -رضوان الله عليهم-، وهم كلهم مبتدعة، كل قدري مبتدع ضال، لكن من كان منهم يقول: إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه فهو كافر؛ لأنه مكذِّبٌ بالقرآن، ومكذِّب بما تواتر عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- لَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ.

(الشرح)

(وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ)؛ لأنهم جمعوا كثيرًا من عقائد الكفر؛ لكن هذا حكم عام، وليس حكمًا على المعينين.

المعين لابد أن تنطبق عله الشروط وتنتفي الموانع، ولذلك عندما يقولوا: أهل السنة قديمًا أو حديثًا: من قال بخلق القرآن فهو كافر، أو القائلون بخلق القرآن كفار، فإنهم يعنون أن هذه المقولة كفرية؛ لأنها تكذيب للقرآن والسنة، وأن من قال هذا على سبيل العموم لا على سبيل التعيين فهو كافر.

أما الحكم على الأعيان فهذا شأن آخر عند أهل السنة والجماعة، والآن يأتي جهلة لا يعرفون طريقة أهل السنة والجماعة، ويقولون: إن الإمام الفلاني من أهل السنة والجماعة يكفِّرنا، **لم؟**

لأنه يقول: مثلًا من قال بخلق القرآن فهوكافر، ونحن نقول بخلق القرآن، أو من يقول: إن الله في كل مكان كافر، ونحن نقول: إن الله في كل مكان، أو يقول: من يقول: إن الله لا مكان له كافر، ونحن نقول بهذا، كما سمعنا بعض الجهلة الذين يقولون: إن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يكفر الأشاعرة، هذا جهل بطريقة أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة والجماعة يحكمون من جهة الجملة، ومن جهة القول نفسه.

أما الحكم على المعين فشأن آخر.

(المتن)

وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الْإِسْلَامَ.

(الشرح)

(**وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الْإِسْلَامَ**)، رفضوا أصله، رفضوا القرآن وقالوا: إنه محرّف، ورفضوا الصحابة، وقالوا: إنهم كفار، ورفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم أجمعين-، وقالوا: إنهم كفار مغتصبون للخلافة.

(المتن)

وَالْخَوَارِجَ مُرَّاقٌ.

(الشرح)

(**وَالْخَوَارِجَ**) الذين يكفرون المسلمين بغير مكفر،ويرون السيف فيهم.

(**مُرَّاقٌ**)، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

ثم أهل السنة والجماعة اختلفوا فيهم:

فمنهم من يقول: إن هذا يعني أنهم كفار يخرجون من الدين حتى يتوبوا.

ومنهم من يقول: إنهم ضلال ضلالًا بعيدًا، وعلى خطر عظيم، لكنهم لا يخرجون من الملة، وهذا الذي أختاره -والله أعلم-، وهو الذي يُفهم مما حصل من الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي خرج عليه الخوارج، وانطبقت عليهم آحاديث الخروج.

وإذا أطلق أهل السنة والجماعة الخوارج فإنهم يريدون هؤلاء الذين يكفرون المسلمين بغير مكفر،

ويستحلون السيف فيهم، ويرون الخروج على ولي الأمر المسلم بالسيف إن رأوا منه ما يكرهون، هؤلاء هم الخوارج الذين إذا أطلق أهل السنة والجماعة الخوارج قصدوهم قديمًا وحديثًا.

(المتن)

قالا: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ.

(الشرح)

هذا أطبق عليه أئمة أهل السنة، ونص عليه جماعات من جميع المذاهب الأربعة: أن من قال بخلق القرآن فهو كافر؛ لأنه مكذب للقرآن، ومكذب للسنة.

(المتن)

وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ، فَهُوَ كَافِرٌ.

(الشرح)

انتبهوا لهذا القيد! مهم جدًّا.

(وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ، فَهُوَ كَافِرٌ): قاعدة من شك في كفر الكافر فهو كافر قاعدة صحيحة، لكنها مقيدة بأن يعلم أنه كافر، يعلم أنه أتى بالمكفر، وأنه كافر، ثم يشك في كفره، هذا الذي يقول فيه العلماء: من شك في كفره فهو كافر.

أما من لم يعلم أنه كافر أو كانت عنده شبهة في كفره، وشك في كفره فإنه لا يكون كافرًا حتى يُعلَّم.

والمكفرة يعملون هذه القاعدة للتكفير ولاسيما لحكام المسلمين، ويقولون إن الذي يقول: إنه لابد من قيد الفهم والعلم وهو الذي ينص عليه أئمة أهل السنة حتى في زماننا الشيخ ابن باز -رحمه الله- نص عليه؛ يقول: الذين يقولون بهذا مرجئة، وهذا الوصف سار المعتدون في التكفير يرمون به أهل السنة والجماعة.

وكل من يقول: إن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل يرمونه بكونه مرجئًا، والإرجاء عند أهل السنة والجماعة معلوم مضبوط، فمن كان على أصول المرجئة فإنه مرجئ، أما من يقول: إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وإنه يزيد وينقص، وإن الكفر لا يكون بالجحود فقط؛ بل قد يكون بترك العمل فإنه لا يكون مرجئًا، ولا يمكن أن يكون مرجئًا.

(المتن)

وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللهِ -عزّ وجلَّ-، فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ، يَقُولُ: (لَا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ!) فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

(الشرح)

وقد تقدم أن الجهمية كفار.

(المتن)

وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا، عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ.

(الشرح)

(وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ جَاهِلًا)، قال: ما أدري، أنا ما أدري، قالوا: تقول: إن القرآن كلام الله؟

قال: ما أدري.

تقول: إن القرآن مخلوق؟

قال: ما أدري.

هذا يُبدَّع، وهو جاهل ومبتدع، لكنه يُعلَّم، فإن أصر بعد العلم علىٰ الوقف فهو جهمي، والجهمية كفار، وإلا خرج من كونه مبتدعًا، هذه طريقة أئمة أهل السنة والجماعة الذين بحثوا هذه المسألة، ولاسيما من أدرك قضية الفتنة بالقول بخلق القرآن.

(المتن)

وَمَنْ قَالَ: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ (الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ) فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

(الشرح)

وهذا لا يقوله أهل السنة والجماعة كما بيناه مرارًا.

(المتن)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ: الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ.

(الشرح)

هذه علامة عظيمة: (وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ: الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ)، **ولها صورتان:**

الصورة الأولى: الطعن فيمن تمسك بالسنة؛ لأنه متمسك بالسنة، ولو كان طالب علم يطعنون فيه،

ويلقبونه بالألقاب لا ذنب له إلا أنه متمسك بالسنة، فهذه علامة على أهل البدع.

والصورة الثانية -وهي الأكثر والأظهر-: الطعن في أئمة أهل السنة،وشيوخ أهل السنة.

من علامات أهل البدع: أنه إذا ذُكر إمام من أئمة أهل السنة أو شيخ من شيوخ أهل السنة قديمًا أو حديثًا طعنوا فيه،إما بقولهم: ولكن، وإما يوصفه بالأوصاف التي فيها طعن، وإما أن تتمعّر وجوههم إذا ذُكر، فإن هذا علامة على فساد في القلب، وعلى بدعة في القلب.

ولذلك أئمة أهل السُّنَّةِ، وشيوخ أهل السنة يُختبر بهم الناس، فمن يطعن فيهم أو يتغير عند ذكرهم أو لا يحب ذكرهم لا لذواتهم؛ إما أنه جاهل بحالهم فيُعلَّم، وإما أنه عالم بحالهم فهذا علامة على أنه مبتدع.

إذًا يُنتبه للصورتين والأمرين.

(المتن)

وَعَلَامَةُ الزَّنَادِقَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ (حَشْوِيَّةً) يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الْآثَارِ.

(الشرح)

هكذا أهل البدع في كل زمان يلقبون أهل السنة بالألقاب المنفرة؛ يريدون إبطال قولهم، وتنفير الناس عن منهجهم وطريقتهم، فكانوا قديمًا يقولون عن أهل السنة: مجسِّمة، وحشوية، ونحو ذلك.

وقبل زمن كان كل من أظهر السنة في بلد يسمونه وهّابي.

وفي هذا الزمن يلقبون أهل السنة والجماعة يقولون: جهمية ومداخلة، ومرجئة الحكام، علماء السلاطين، وجاءوا الآن بشيء جديد: مشايخ الرؤية، هذه طريقة أهل البدع ما تختلف قديمًا وحديثًا، لا يستطيعون أن يقابلوا أهل السنة والجماعة بالحجة، فيلجأون إلى التلقيب والتنفير.

(المتن)

وَعَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ (مُشَبِّهَةً).

وَعَلَامَةُ الْقَدَرِيَّةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الْأَثَرِ (مُجَبِّرَةً).

وَعَلَامَةُ الْمُرْجِئَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ (مُخَالِفَةً) وَ (نُقْصَانِيَّةً).

وَعَلَامَةُ الرَّافِضَةِ: تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ (نابِتَة) (وَنَاصِبَةً).

وَلَا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ.

(الشرح)

لا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد: أهل السنة والجماعة، وما أشبهه؛ الحديث، السلفيون، أهل الأثر، هذا اسمهم الذي يجمعهم، والذي يصدق عليهم، وكل لقب ينبذون به هم منه براء، ولكن مخالفيهم يختلقون ذلك للتنفير منهم.

(المتن)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهِجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ يُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ، وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِرَأْيٍ فِي غَيْرِ آثَارٍ.

(الشرح)

مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة: النهي عن مجالسة أهل البدع،والنهي عن السماع منهم ولو آية، وهذا أمر متظافرة عليه أقوال أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا، فالواجب على السني أن يحذر أهل البدع، وأن لا يجالسهم جلوس اختيار.

أما جلوس الاضطرار كأن يكون مدرسًا مع مدرسين أو أستاذًا مع أساتذة أو نحو هذا، فهذا أمر لا يؤاخذ به الإنسان، وإنما الجلوس الاختياري والمجالسة كما بيناه في شرحنا على أصول السنة للإمام أحمد.

(المتن)

وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَيَقُولَانِ: لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا.

(الشرح)

وهذا متواتر عند أهل السنة والجماعة من زمن الإمام الشافعي إلى زماننا: أن الكلام لا خير فيه، وأنه يُفسد الدين، وأنه لا يفلح صاحبق كلام أبدًا؛ بل يتردى في البدع.

(المتن)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: «وَبِهِ أَقُولُ أَنَا».

(الشرح)

وبه نقول، فهذه أصول أهل السنة والجماعة أردت عرضها على مسامعكم؛ لأهمية الأمر، ولاسيما أنا في زمن فيه اضطراب، وإن لنرى في الآونة الأخيرة هجمة شديدة على أئمة أهل السنة؛ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام ابن القيم وأمثالهما من المتقدمين، وعلى شيوخنا من المتأخرين، كما نرى هجومًا واسعًا على أصول أهل السنة والجماعة.

وأرى اليوم ترتيبًا بيِّنًا لهدم أصول أهل السنة والجماعة أو التشكيك فيها، وستسمعون في هذه الأيام كثيرًا من الكلام واللغو حول قاعدة أهل السنة والجماعة التمسك بالكتاب والسنة بفهم السلف، فينبغي علينا: أن نكون عالمين حذرين، عارفين بأصول أهل السنة، حذرين من أعداء أهل السنة، وأن نحفظ هذا في أنفسنا، وأن نحرص على حفظه في الناس.

وإن شاء الله -عزَّ وجلَّ- كما وعدت سابقًا سنجعل هذه الرسالة في دروس العقيدة التي تكون فجر كل سبت -إن شاء الله-؛ بحيث نتوسع في شرحها، ونذكر المخالفين، وحجج المخالفين قديمًا وحديثًا، ونجيب عنها -إن شاء الله- بجواب العلماء، ما عندنا إلا ما ننقله عن العلماء -إن شاء الله-.

وبهذا نختم هذه الرسالة، ونختم هذه الأيام العلمية التي أردت منها ملء الوقت بخير نافع لي ولإخواني، و -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- دروسي بحسب الجدول المعتاد ستعود في الأسبوع بعد القادم، الأسبوع القادم هذا القريب لن يكون فيه دروس، والأسبوع بعد القادم ستكون دروسنا جميعها قائمة سواء ما كان في قباء أو في المسجد النبوي -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- لعلنا نجيب عن شيء من الأسئلة.

(الأسئلة)

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، ونفعنا الله بما سمعنا.

السؤال: أحسن الله إليكم. هذا يقول: هل ثبت أن بعض أهل الجنة يرون ربهم بكرة وعشية؟

الجواب: ما أعلم هذا، لكن جاء عن أنس بن مالك «**أنهم يرونه كل جمعة**».

السؤال: طفل توفي قبل اليوم السابع، فهل يُعق عنه؟ وهل يشفع لوالديه إن لم يُعق عنه؟

الجواب: كل من وُلِد، وخرج حيًا فإنه يُعق عنه، ولو مات بعد ولادته بشيء، وليست العقيقة مربوطة باليوم السابع، وإنما هي مربوطة بالولادة، لكن السنة: أن تكون العقيقة في اليوم السابع. «كُلُّ مَولُودٍ مرتَهَنٌ بعقيقتِهِ»، وقد فسَّر العلماء هذا الحديث بأن كل مولود مرتهن عن الشفاعة لوالديه بعقيقته، فإن عُق عنه شفع لوالديه، وإلا فلا، وهذا أحد تفسيرات العلماء للحديث.

السؤال: هل يُشرع أن يُخص شهر رجب بعمل دون غيره؟

الجواب: شهر رجب ما ثبت فيه إلا أنه من الأشهر الحرم، فيتأكد فيه أن لا يظلم الإنسان نفسه، لكن لم يثبت فيه تخصيصه بشيء زائد عن غيره من الأشهر، لا بذكر ولا بمناسبة ولا بصوم ولا بغير ذلك، فلا يُشرع للإنسان أن يخُص شهر رجب بشيء لأنه شهر رجب، وإنما يُعمل فيه ما يُعمل في سائر الأشهر.

السؤال: العمرة في رجب؟

الجواب: العمرة في رجب محل خلاف، وهل اعتمر النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رجب محل خلاف بين السلف، وهل كانت العمرة مقصودة في رجب إن وقعت أو وقعت اتفاقًا.

والأظهر -والله أعلم- أنه لا خصوصية للعمرة في شهر رجب، لكن إن اعتمر الإنسان في شهر رجب كما يعتمر في سائر الأشهر فلا حرج.

السؤال: أشعر منذ فترة بضيق وهم وغم، وعندما أقرأ القرآن يصيبني صداع ونعاس، أصبحت لا أنام الليل، فلما نصيحتكم لي؟

الجواب: هذه عند العارفين علامة عين، من علامات العين عند العارفين بهذا الباب:

أن يُصاب الإنسان بخمول بعد أن كان نشيطًا، وأن يثقل عليه أن يقرأ القرآن، وإذا قرأ القرآن يصاب بالنعاس، ويصاب بالنوم، أو تجري دموعه من غير سبب، هذه عند العارفين بهذا الباب من علامات العين.

فأوصي الأخ: بأن يرقي نفسه، وأن يقرأ القرآن بنية التعبد والرقية، بعض الناس يقرأ القرآن بنية الرقية فقط، هذا ما يصلح؛ يقرأ القرآن بنية التعبد والشفاء، بنية التعبد والرقية، وإن كان يشك في أحد بعينه، فإنه يحرص على أن يأخذ من أثره، ويغتسل به، فإن هذا من أسباب الشفاء -بإذن الله-.

السؤال: ما السنة بعد صلاتي المغرب والفجر أن يبدأ بالاستغفار أم بالتهليلات العشر؟

الجواب: السنة أن يبدأ بالاستغفار، ويقول: اللّٰهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم بعد ذلك هو مخير بين أن يأتي بالتهليلات العسر أو يتم الأذكار، ثم يأتي بالتهليلات العشر،لكنه يأتي بها قبل أن يتكلم بكلام الناس.

قبل أن يتكلم مع الناس يأتي بها، لكن إن شاء جعلها بعد قوله: اللّٰهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمند، يحيي، ويميت، وهو على كل شيء قدير عشر مرات، ثم يكمل الأذكار، وإن شاء أكمل الأذكار،ثم أتى بالتهليلات العشر قبل أن يسبّح، قبل التسبيحات.

السؤال: امرأة عندها منزل اشترته من البنك بالربا، ولم تُكمل دفع الفوائد، وهناك أخ يريد أن يشتري منها المنزل، فقالت له: تعطي البنك ما بقي في ذمتي، وتزيدني قليلًا، فهل يجوز الدخول في هذه المعاملة؟

الجواب: لا، لا يجوز، لا يجوز أن يُدخِل الإنسان نفسه في الربا، فما دام أنها تطلب منه أن يدفع للبنك ما بقي عليها من الأقساط الربوية ويزيدها، فهذا لا يجوز؛ لأنه يدخِل نفسه في المعاملة الربوية.

السؤال: ما حكم شرب الدخان؟

الجواب: ما يسمى بالدخان وهو: التبغ بأنواع القديمة والحديثة، ومنها السيجارة الإلكترونية لا نشك في أن شربه حرام، لا يجوز؛ لأن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ»،

ومعنى الحديث:

أنه لا يجوز للإنسان أن يضر نفسه، ولا أن يضر غيره، وقد أطبق العقلاء على أن شرب هذا الدخان يضر الإنسان نفسه، ويضر غيره؛ بل يذكر الأطباء أن الجنين في بطن أمه يتضرر إذا شُرِب الدخان عند أمه، وما دام ذلك كذلك فإن الأصل في المضار التحريم، وهذا الضرر لا يُشك فيه تقدم أو تأخر، وهو أنواع كثيرة، وقد يصل إلى أن يسبب الموت.

ثم إنه يبلغنا أن شركات التبغ ترشه بالخمر، حدثني بهذا مهندس كان يعمل في إحدى شركات التبغ، سمع كلمة لي في تحريم شرب الدخان، فجاءني وقال: أنا فلان، كنت مهندسًا مسئولًا في شركة كذا، وهم يرشون التبغ قبل حشوه بالخمر.

فعلى كل حال ما نشك في حرمة شرب الدخان، والواجب على المسلم أن يخلّص نفسه من هذه البلية وأن لا يستسلم لها.

السؤال: هل المصاب بسلس البول يتوضأ فقط عند كل صلاة أم يجب عليه الاستنجاء أيضًا؟

الجواب: المصاب بسلس البول يجب عليه إذا دخل وقت الصلاة أن يستنجي، ويتوضأ لكل صلاة، ثم يصبح طاهرًا، ولا يضره ما يخرج منه من البول خاصة ما دام وقت الصلاة قائمًا، فإذا خرج وقت الصلاة ودخل وقت الأخرى وجب عليه أن يستنجي ويتوضأ، ويضع شيئًا في الموطن حتى ما ينزل منه شيء يصيب الأرض أو يصيب الفراش.

السؤال: من خاف أثناء طريقه إلى المسجد النبوي أن لا يدرك تكبيرة الإحرام هل الأفضل أن يصلي في مسجد في طريقه ويدرك تكبيرة الإحرام أم يأتي إلى المسجد النبوي ولو سُبِق بركعة؟

الجواب: أما من أقيمت الصلاة وهو مستقر فالواجب عليه أن يصلي في المسجد الذي أقيمت فيه الصلاة، ولا يجوز له أن يذهب إلى امسجد النبوي وقد أقيمت الصلاة.

أما إذا كان يسير، ثم أقيمت الصلاة فله أن يستمر ما دام يغلب على ظنه أنه يدرك الجماعة، وأن الجماعة لا تفوته بذلك.

السؤال: عندنا في البلد عادة، وهي: أنه بعد دفت الميت ووضع التراب عليه، ينزل أحد الناس ويعدل التراب بأرجله، فهل هذا جائز؟

الجواب: ما يجوز أن يصعد على القبر ويطأه بقدميه، إذا كان ما يجوز المشي بالنعل بين القبور، فإنه لا يجوز الجلوس على القبر، ولا يجوز الوقوف عليه، ولا يجوز أن يوطأ بالأقدام؛ وإنما يسوى ما زاد، الفقهاء يقولون: يُرد التراب الذي أخرج من القبر على القبر، ويسنم القبر ولا يزاد عن مقدار ذراع، والأفضل أن يكون مقدار شبر.

السؤال: من لم يُعق عنه حتى بلغ هل يعق عن نفسه؟

الجواب: الصواب: أن العقيقة إنما هي من الأب، لكن لو أنه عندما بلغ قال لأبيه: يا أبي أريد أن أعطيك ثمن العقيقة وتعق عني، فلا بأس.

أما أن يعق عن نفسه بنفسه فلا، وإنما الذي يعق هو الأب أو من يقوم مقام الأب.

لكن لو تطوع هو بقيمتها، وعق أبوه عنه أو من قام مقام أبيه عنه فلا حرج -إن شاء الله-.

السؤال: من صلى إيماءً هل يقتصر على تحريك رأسه فقط خفضًا ورفعًا، أم يومئ بصدره كذلك؟

الجواب: الأصل في الإيماء أنه بالرأس، الأصل في الإيماء في الصلاة أنه بالرأس، فيومئ برأسه في الركوع، وأكثر في السجود، لكن لو أومأ بشيء من جسده ما في بأس -إن شاء الله-، لكن المطلوب هو الإيماء بالرأس، هذا هو المقصود بالإيماء في الصلاة.

السؤال: إمام نسي سجدة، ونبِّه ولم ينتبه، وبعد السلام أصر على عدم النسيان، ما هو الواجب على المأمومين؟

الجواب: إذا كان الإمام متيقنًا أنه ما نسي فهذا شأنه، وإذا كان الناس متيقنين أنه قد نسي فإن هذه الركعة في حقهم تلغو، ويأتون في مكانها بركعة، إلا إذا كان ذلك في آخر ركعة، وكان الوقت قريبًا، فإنهم يأتون بالسجدة الثانية وما بعدها، ويسجدون للسهو، حتى لو حصل منهم كلام بعد السلام، لكن كان النسيان في الركعة الأخيرة، فإنهم يأتون بالسجدة الثانية، وما بعدها، أي: يجلسون للتشهد، ويأتون بالتشهد، والصلاة الإبراهيمية ويدعون ويسلمون.

السؤال: هل يجوز لمن يصنع منتجًا معينًا، وجعل له علامة تجارية خاصة أن يشترط على موزعي منتجه وغيرهم أن لا يبيعوا هذا المنتج بسعر أقل منه؟

الجواب: العلامة التجارية حق معنوي يملكه الإنسان، وبهذا أفتت المجامع الفقهية، فللإنسان أن يبيعها، وله أن يبيعها مطلقًا، وله أن يبيعها مقيدة بشروط بحسب ما يراه من المصلحة، فإذا قيَّدها بما ذُكر، واشترط ما ذُكر؛ لأن في هذا مصلحة حتى لا تنزل قيمة المنتج أونحو ذلك فنعم له ذلك، ويجب على من قبِل هذا الشرط أن يعمل به.

السؤال: بعض حملات الحج والعمرة المرشد يلبس الزي الخاص بحملته وفيه اسم الحملة ورقمها، هل يدخل هذا في الإعلان التجاري؟ وهل يجوز مثل هذا في المسجد؟

الجواب: هذا ليس إعلانًا تجاريًا؛ هذا تمييز، هو يلبس هذا اللباس ليُميَّز؛ حتى يكون من معه يعرفونه ونحو ذلك، ولا يقصد أن يعلن للشركة أو نحو ذلك، فأرى أن ما فيه بأس.

السؤال: كيف تتحقق كفالة اليتيم؟ هل بالإنفاق عليهم أم لابد من ضمهم إلى بيته مع أولاده؟

الجواب: أما كفالة اليتيم الأصلية الكاملة، فهي: أن يربيه، ليس فقط أن ينفق عليه؛ يربيه بأن يضمه إلى بيته، ويقوم بتربيته والعناية به، ولكن الإنفاق عليه بما تحصل به التربية ويحصل به الإحسان نوع من الكفالة، ونرجو أن يحصل به الثواب -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-؛ ثواب كفالة اليتيم.

السؤال: تاجر لبيع قطع غيار السيارات، وعرض عليه بنك ربوي في بلده أن يتفق معه على توفير قطع لسيارات البنك، هل يجوز لي التعاقد معه؟

الجواب: القاعدة: أنه إذا كان التعامل مع البنك الربوي بصورة ربوية أو فيه إعانة على الربا فإنه لا يجوز، وإذا لم تكن فيه إعانة على الربا ولا فيه صورة ربوية فإنه يجوز، لكن الورع الترك، والبعد عن مثل هذا.

السؤال: علمنا أن صلاة الجماعة في المسجد واجبة، لكننا في الجامعة قد يصادف وقت الصلاة بحصة دراسية، فهل يجوز التخلف عن جماعة المسجد في هذه الحالة؟

الجواب: نعم إذا كان الإنسان معذورًا، ومنشغلًا بشيء لابد منه فإنه يُعذَر، لكن يحرص على الجماعة إن وجدت.

إذا كان الفقهاء يقولون: إن الخباز لو عجن عجينه وحضرت وقت الصلاة، ولو ذهب يصلي مع الجماعة لتلف عجينه، فإنه معذور.

فإذا كان طالب العلم في درس في الجامعة أو في غيرها، وملزم بالحضور، فإنه يكون معذورًا، لكنه يحرص على أن يصلي مع الجماعة إن وجدت في المصلى أو نحو ذلك.

نقتصر على هذا، ونسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يكتب لي ولكم الأجر، وأن يقرّ أعيننا بالاستقرار والخير في جميع دول المسلمين.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ